

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

كل شيء اصبح مبعثرا ... انا مشوش الي اقصي درجة ... اين هو .. اين هو ؟ ،
اين هو القلم اللعين ..؟ ، ركز .. ركز ، استجمع شتات نفسك ، نعم .. لقد وجدته ،
الآن كف عن الارتجاف .. خذ نفسا عميق و دون ملاحظاتك ...

" ٣٠ نوفمبر ٢٠١٩ ليلة يوم الاحد ، لا أعرف كيف وصلت الي هذا الطريق
المسدود ، انا الآن محاصر داخل شقتي ، الامطار تتساقط بغزارة في الخارج ،
امتألت الشوارع بالماء كالأنهار، و توقفت الكلاب عن النباح .. انهم قادمون ..
قادمون من أجلي ، لقد نفذت كل حلولي للخروج من هنا ، لا يسعني إلا التفكير
بذلك ، انا اسف .. اسف علي كل شيء قدمته خلال حياتي ، انا فقط أردت أن ادون
ذلك ، أشعر أن هذه هي ساعاتي الاخيرة في تلك الحياة ، إنها نهاية المطاف ،
أردت فقط ان اقول ذلك ان أسوء الاوقات هي تلك التي تظن أنك تمتلك المعرفة
لكنك في الحقيقة لا تعرف شيئا "

**** أعداء ****

قبل ذلك بستة أعوام

٢٣ سبتمبر ٢٠١٣ مع اول شعاع خافت للشمس تساقطت أوراق الخريف و ابتهجت العصافير فوق الأغصان تغرد ، تعلن عن نهار يوما جديد ، و مع وضوح قرص الشمس خلف الغيوم ، دق المنبه عند السادسة صباحا ليعلن عن يوم آخر روتيني مثل باقي الايام ، مد راحتيه و أغلق الجهاز ، كهل وصل الي الستون من عمره ، اعتدل علي سريره و قام بتمديد عضلات جسده المترهل ، أرثدي نظارته المقعره و نظر الي عقارب الساعة ثم انتفض من علي السرير ليمارس تمارين الصباح بعدها اتجه الي الحمام ، قام بالاستحمام بالماء الساخن ثم خرج ليكمل باقي طقوسه اليومية ، قام بإعداد القهوة ثم جلس يقرأ الجرنال بعناية ، كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة صباحا ، قام لتحضير عصير البرتقال المعتاد مع قلي بيضتين ، احضر عدة برتقالات ليقوم بعصرهم لتحضير عصير طبيعي كما يحب ثم طقش البيض داخل الزيت و تركهم على نار هادئة حتى يتم قليهم بعنايه ، بعد أن انتهى من العصر ذهب ليشرب العصير بينما يشاهد التلفاز ، بدأ يقلب بين القنوات ربما يجد فيلم مصري قديم او ربما اغنيه رومانسية لأم كلثوم ، أخذ وقتا شاردا بين قنوات التلفاز ربما تضيع ساعه او ساعتين ، اقتطع حبل أفكاره و شروده الطويل جرس الباب ، اتجه الي الباب مسرعا ، فتي صغير يحمل ملابس نظيفة

• مكوي يا خالد باشا ...

حذق به قليلا ثم ذهب و عاد و هو يحمل محفظته و يخرج منها بعض النقود الورقية

• اتفضل يا حبيبي ..احتفظ بالباقي

أغلق الباب و اخذ القميص و البنطلون ليعلقهم ، وقف ينظر إلى الملابس متأملاً و هو يفكر و يغلبه بعض التوتر ، نظر الي الساعة وصلت الثانية عشر و نصف ، سريعا ما انتزع ملابس البيت و أرثدي القميص و البنطلون ، ثم احضر بلوفر خريفي يحمل ألوان مزركشه ، قام بإغلاق أزرار البلوفر بعد أن أرثدي حذاءه الملمع ، أصبح جاهزا الان للخروج ، ذهب ليتطمأن ان كل شيء مغلق داخل الشقة و يتأكد انه لم ينسي شيء ، نظر للمرآه قبل أن يخرج ، ثم قال الي نفسه مترددا " يمكنك فعلها "

نزل خالد من البيت ، واجه ضوء الشمس الساطع ، تأثرت عيناه قليلا اثر الضوء عليها كأنه لم ير الشارع منذ زمن بعيد ، ثم ركب سيارته السوداء بعدما القي التحية علي بواب العمارة ثم اتجه في طريقه يتأمل الشوارع و الطرقات كأنه لم يرها منذ سنوات طويلة ، حتى توقف امام المقهى في حي الدقي ، قام بركن السيارة ثم ترجل و دخل الي المقهى ، وقف ينظر شارداً بين الطاولات حتى وقع نظره على طاولة منفردة بجانب النافذة الزجاجية اتجه إليها ثم جلس منتظرا لبضع دقائق حتى وصل إليه النادل ، سألته بلطف ..

• كيف استطيع ان اخدمك يا سيدي ؟

التفت خالد يمينا ويسارا ينظر حوله ثم أجاب النادل شاردا ..

• انا انتظر احدا ما ...

انصرف النادل بلبافة ، ثم جلس خالد لعدة دقائق يتأمل من حوله يختطف بعض النظرات شذرا يتبادلون الأحاديث ، ويثرثرون بالترهات ، بدأ حينها يفكر في حاله ، يتساءل و يحدث نفسه بأسى .. لقد أمضيت ستة أشهر داخل المنزل بعيدا عن هذا العالم حتى اغفلت فيما يفكر الناس بحق كأن العالم اتسع من حولي و انا ضئيل للغاية .. كيف وصلت إلى هذا الحد ؟ .. في الماضي كان دائما محور تركيزي داخل العمل ، لقد عملت بجد و اجتهد .. تفانيت في عملي حتى اغفلت الحياة اغفلت كيف تسير الأمور ، لقد أغفلت مشاعري و نظرت إلى العالم من خلف نافذة زجاجية لا استطيع تجاوزها ، والان لا استطيع التوغل و الانغماس داخل هذا ، لقد اعتدت وحدتي حتى انستها ، إنه واقع تركته خلفي منذ زمن بعيد ، لقد خشيت أن اواجهه و الآن عدت إليه لأطلب فرصة اخرى ، .. اخرج خالد سيجارة من علبة السجائر الخاصة به ، اشعلها ثم استنشق دخانها بقوة إلى رئتيه ثم افرغه عاليا داخل المقهى .. نظر من خلال النافذة الزجاجية شارداً في قرص الشمس ينشر اشاعته الدافئة على نسيمات الخريف ، أخذ نفسا عميقا من السيجارة ثم نفخ و تساءل .. عن ماذا أبحث بحق ، لا يوجد معنى لأي من هذا ، لقد فات الاوان ، التقط خالد مفتاح السيارة و علبة السجائر مسرعا ، ثم نهض قائلا " ربما اتخذت القرار الخطأ " ، اعتدل خالد ثم تنحى جانبا و شرع ليمضي قدماً للخروج من المقهى حتى اعترضت طريقه امرأه وقفت أمامه مباشرة ، بيضاء ذات شعر بني داكن مختلطاً ببعض الخصلات الرمادية ، زينت وجهها ببعض مساحيق التجميل لتخفي تجاعيد وجهها ، تبدو في الخمسون من عمرها لكنها ما زالت تحافظ علي رونقها و جمالها ، تفاجئ خالد لرؤيتها ثم وقف متسماً بمكانه ، قالت له السيدة في استحياء

• خالد .. عفوا هل تأخرت عن الموعد ؟

قال خالد بتوتر ..

• لا على الإطلاق .. انا من حضرت مبكراً

طلب خالد منها ان تجلس ، اخرج مانديلاً من جيبه ثم مسح عرق جبينه ، كان يمتلكه بعض التوتر ، سألها ماذا تريد أن تطلب ، فكرت قليلا ثم قالت بثقة فنجان من القهوة ، أشار خالد الي النادل ثم طلب منه فجانين من القهوة ، سادت بضع لحظات من الصمت بينهم ، اراد خالد ان يفتتح معها الحديث ، لكنها بادرت قائلة ..

• انا حقاً سعيدة لأنك دعوتني للخروج .. ابتسمت في خجل ثم تابعت .. عندما طلبت مني حينها حاولت جاهدة ان اخبئ انفعالاتي ... انا فقط لا اتصور ذلك خلال تلك الأعوام لم يجمعنا الحديث إلا مرات معدودات .. فركت الهام مؤخرة رأسها في خجل ثم قالت .. لقد كنت هادئ الطبع و دائماً ما تحمل هذا الوجه الجاد و هذا ما كان يضيف هيبه في شخصيتك ، و لكن في الحقيقة كانت نادية اختك دائماً تمتدح فيك تقول انك شخص لطيف و ظريف على عكس شخصيتك الجادة

ابتسم خالد في خجل ثم قال متلعثماً ..

- نعم ... انها تمدح بكى ايضاً .. دائماً ما تفعل ..
- من الجيد انها لم تقنطع الاتصال بي بعدما هجرتم منزل العائلة

قال خالد بشرود ..

- هذا ما تؤل إليه الأمور دائماً ، بعد وفاة والدي اصبح لكل منا حياته المنفردة الآن .. نجتمع جميعاً فقط على فترات متباعدة لتناول العشاء بمنزل مصطفى .. هل تتذكرينه ؟
- ابتسمت الهام بسخرية ثم قالت

- نعم بالطبع و من لا يعرفه ، دائماً ما يتردد اسمه في الصحف و الاخبار لقد أصبح من أشهر رجال الدولة

ابتسم خالد ثم قال بنبره ساخرة ...

- نعم دائماً ما كان تهويه بهرجة الشهره ، بخلافي انا فأقبل بتلك الحياة البسيطة ، لكل منا طموحه الخاص و حياته الخاصة .. ، نظر خالد إلى اعين الهام البنيه ثم سألها .. اذا اخبريني ماذا عنك ، ماذا تفعلين الآن ؟
- رفعت الهام حاجبها باستثارة ثم فتشت حقيبتها الجلدية ، أخرجت منها قلم بلاستيكي احمر للشفاه ، جلس خالد يراقبها بغرابة بينما تفتح القلم ببطيء و ترفعه إلى شفاها ، ثم تدهنه بهما جيداً ، بعدها أغلقتها ثم دفسته في حقيبتها مجدداً ... ثم قالت

- لقد حاولت ان اعمل مرارا و تكرارا حتى توسط لي زوج اختي بأن يضعني بمهنة داخل أحد أكبر البنوك ، و بالنهاية تم تعييني كرئيسه لقسم الحسابات ، لكنني لم اتأقلم مع الأرقام بجانب زملاء العمل المنافقين ، بالنهاية كرهت الروتين اليومي و قررت تقديم استقالتي ... اعتقد انني لست مناسبه للوظائف يبدو أنني سوف اكمل حياتي على هذا النحو ...

ضحك خالد بسخرية ، ثم نظرت إليه الهام متفاجئة و قالت ..

- ما المضحك في ذلك .. ؟
- أجاب خالد بنبره ساخرة ... مع اختلاف آراءنا يبدو اننا سوف نتجه إلى نفس النقطة
- ماذا عنك ، ما الذي دفعك لترك العمل ؟

ضحك خالد بسخريه ، سكت قليلاً ثم قال بحده ...

- لقد تمت احوالي على المعاش .. أخبروني بشكل مهذب انهم يستغنون عن خدماتي .. نظر إلى الأفق شاردًا ثم قال و هو يغلبه الأسى .. لقد كنت من أكفأ الضباط في جهاز المخابرات .. اما الآن انا لا شيء
- قالت له بنبرة ثقة .. لا تحزن لكل شيء نهاية و هذا ما تؤل إليه الأمور..
- ابتسم خالد ثم قال .. من الجانب المشرق .. انني الآن لدي الوقت لكي أمارس نشاطاتي المتعددة ، أمارس بعض الرياضة ، أقرأ بعض الكتب و احياناً أكتب .. ماذا عنك ؟
- انا مهووسة بمستحضرات التجميل واقضي معظم الوقت أمام المراة .. قالتها إلهام ثم سألتها بفضول .. ماذا تكتب ؟
- رد خالد بخجل .. انا فقط أدون ملاحظاتي ليس اكثر .. اعتدت على فعل ذلك ..

ارجعت الهام رأسها للخلف ثم أخذت نفساً عميقاً ، بعدها قالت بتردد

- هل يمكنني أن أسألك سؤالاً ..
- بالطبع تفضلي ..

سألتها بتردد ..

- لماذا لم تتزوج ؟

صمت خالد لحظات يتأمل سؤالها في شروء .. ثم أجاب مبهماً

- في الحقيقة لم أفكر في الزواج مطلقاً لقد كرسيت حياتي للعمل ..
- ربما لم تجد المرأة المناسبة .. قالتها الهام مبتسمة في مكر
- ابتسم خالد ثم قال بنبرة جاده .. في الحقيقة لم انعم بحياة طبيعية خلال فترة عملي .. لم استطع تكوين أسرة ، لقد وجدت صعوبة في إدراك تلك الأمور حتى ضاع الوقت و آمنت بأن حياتي سوف تكتمل على هذا النحو

نظرت إليه الهام بتعجب ثم ضحكت عاليا ، نظر خالد باندهاش ، ثم قالت ضاحكة ..

- الآن فهمت الدعابة ... مع اختلاف آراءنا نتجه إلى نفس النقطة

تبادل خالد و الهام الضحكات في لحظة من اللحظات الشاعرية القليلة في حياتهما ، ثم نظر خالد إلى الهام تضحك بعفوية شابه في ربيع عمرها تغمرها سعادة لم تجدها منذ سنوات ، و نظرت الهام إلى اعيه يملأها مشاعر متضاربة من الحزن و اليأس و الامل ، تبادلوا النظرات حتى تواردت أفكارهم ، أدركوا ان الوقت قد نفذ و قد تحول كل شيء إلى الفناء ، لامست الهام أصابع خالد المرتجفة و قالت كأنها تسمع أفكاره و وساوسه ..

- يمكنك أن تبدأ من جديد ..

بعثت جملتها السكينة في روحه كما تبعث نسمات الخريف السكينة في قلوب الأشجار المتحجرة ثم استفاد من شروءه للحظات و انتبه للإلهام تقول له باندهاش ..

- لقد أخذنا الحديث و مر الوقت سريعاً ، أوشكت الشمس على المغيب ..

دفع خالد الفتورة ثم خرجا من المقهى يودعون بعضهم تحت لوحة فنية ترسمها السماء أثر غروب الشمس ، قال خالد بخجل ...

- لقد استمتعت كثيرا بالحديث معك ..
- الشعور متبادل ... بالتأكيد سوف نتقابل مجددا ..

قاما بتوديع بعضهما و كل منهما ركب سيارته و انطلق باتجاه معاكس

قرر خالد ألا يعود إلى المنزل ، يستنشق بعض الهواء ، بينما يقود سيارته يتأمل الطرق و الشوارع ، يتأمل اصحاب المتاجر و المحلات ، المارة و العائدين إلى منازلهم و اسرهم بعد يوم عمل شاق ، تتراقص اغصان الأشجار ببهجة مما يبعث السلام بمن يحيطها ، شعر خالد في نفسه بشيء غير معتاد ، كأنه شخص مختلف عن العادة ، شعور لم يألّفه من قبل ، خليط من الذعر و البهجة ، الوجوم و الطمأنينة ، بعض من الارتباك و الحيرة ، لكنه كان مغموراً بالسعادة ، كان عندها الوقت قد تأخر و الساعة قد تجاوزت الثامنة مساء ، لكن يومه لم ينتهي حينها ، كان خالد متلهفا بعض الشيء ، اخرج تليفونه المحمول ، ثم قام بأجراء اتصال ... انتظر خالد بضعة لحظات حتى أجاب احمد بعد لحظات بمزاحه المعتاد

- .. هل اشتقت لي الآن ؟
- ابتسم خالد .. ثم قال بنبرة جاده .. اين انت الان ؟ اريد ان اقابلك
- تابع احمد بنبرة ساخرة ... إن صوتك يبعث في داخلي الطمأنينة ، أخبرني كيف سارت الأمور معك ؟
- ضحك خالد ثم تابع .. سوف نتحدث لاحقا عندما اراك ..
- الان؟! هل سوف تتخلى عن روتينك اليومي لتقابلني في ذلك الوقت المتأخر ؟
- لم أرك منذ عدة أشهر و قليلاً من الحديث لن يضر ، سوف انتظرك بمقهى الزمالك لا تتأخر ..
- كما تريد يا اخي

وصل خالد الي مقهى ، ثم جلس بطاولته المعتادة و طلب من النادل كوبا من الشاي ، جلس ينتظر لبعض الوقت ، يسترجع نشاطه الذهني و يسترجع أحداث يومه سريعا ، لقد كان يشعر بالتوتر في البداية لكنه تحسن مع مرور الوقت ، نظر خالد في ساعته ، لقد تأخر هذا الفتى .. قالها خالد ثم حملق في باب المقهى ، عبر خلاله شاب يبدو في الثلاثينات من عمره ، وسيم و يتمتع بجسد مثالي يلفت الأنظار إليه ، طلته كطلة نجم سينمائي ، دائما ما كان يهتم بمظهره ، كان يرتدي جاكيت جلدي و يزين رقبتة بوشاح مزرکش بالورود ، و يضع في فمه سيجارة ، و صوته الصاخب يلفت الانتباه إليه ، أشار إلي خالد من بعيد ، ثم اتجه إليه حتى وقف بمحاذاته

ثم ترقع إصبعه و طلب من النادل قهوة فرنساوي و كوبا من الماء ، جلس احمد و هو يبتسم في وجه خالد ثم قال ...

- خالد باشا .. لقد مر وقتاً طويلاً ، اشتقت اليك يا اخي ..
- ابتسم خالد ثم قال برفق .. انا ايضا كيف أحوالك الآن ؟ ..

فرد احمد ذراعه متكئاً على المقعد ثم أخذ نفساً من السجارة و قال

- كالمعتاد ، احاول الاستمتاع في حياتي ، لكن دعك مني أخبرني أنت كيف أحوالك ..
- شرد احمد قليلاً ثم قال بذهول .. لم ارك منذ أن تركت العمل ، اللعنة .. لقد كانت ستة أشهر .. لقد سمعت أنك تمر بظروف سيئة

ابتلع خالد ريقه ثم قال بصوت مبجوح ..

- نعم ، لقد كانت ستة أشهر عصبيه و أنا داخل المنزل ، لكنني أشعر بتحسّن الان

رتم احمد على كتفه برفق ثم قال

- انا سعيد لأنك عدت يا اخي ، لقد كنت اثق انك تستطيع ان تتخطى تلك المحنة ..

تابع احمد حديثه ثم قال بسخرية ..

- اذا أخبرني كيف سار موعدهك ؟ و ما الذي جعلك متلهف لتقابلني في هذا الوقت المتأخر .. سوف نتقابل غدا عاجلاً أم آجلاً في منزل أخيك .. اتفكر في عدم المجيء ؟ .. سأله احمد بمكر

ضحك خالد ثم قال ..

- بمنزل مصطفى لا صوت يعلو إلا صوته ...

تبادلا الضحكات ، ثم قال أحمد ساخراً ...

- ألم تشتاق لجلستنا على طاولة واحدة ، بينما يسود ذلك الدفيء الأسري ..
- لا أعتقد ذلك ..

سأله أحمد بجدية ..

- كيف كان موعدهك اذا ؟
- لست متأكداً بعد لكنه لم يكن سيئاً على غير المتوقع ..
- أنت دائماً تتوقع الأسوأ

قالها أحمد ساخراً ، لكنه كان سعيداً لسعادة خالد بعد تلك الفترة العصبية ، شعر أنه قد استعاد ثقته بنفسه مجدداً ... قرر عندها خالد أن يعود للمنزل ليستريح بعد يوماً طويلاً و مليء بالأحداث ، ودعه أحمد بعد أن أكد عليه موعد الغداء ، وصل خالد شقيقه و انتزع ملابسه سريعاً ، ثم ارتقى على الفراش ليغط في نوماً عميق حتى الصباح

في صباح اليوم التالي استيقظ خالد نشيطاً مبتهجا ، مارس روتينه اليومي كالمعتاد ، لكنه قرر أن يضاعف تمارين الصباح و يقوم بالركض في شوارع الدقي الهادئة حيث يسكن ، أستنشق خالد هواء نقيا مشرقا ، صعد الي البيت بعدما شعر بالإرهاق ، قام بالاستحمام كالمعتاد ، و قرر أن يضيف إلي الفطور بيضتين مع عصير البرتقال المعتاد ، تجاوز ساعاته في اليوم بين القراءة و مشاهدة الاخبار في التلفاز ، وصلت الساعة الرابعة ، ثم ذهب للتجهيز للخروج ، أرندي ثيابه سريعا ، ثم خرج من الشقة و ، التقى خالد بجاره عزت علي السلم ، لم يكن خالد مختلطا بأحد من جيرانه ، كان فقط يكتفي باللقاء التحية بصمت ، و كانت جميع اتصالاته داخل العمارة من خلال سيد بواب العمارة ، حتي عرف داخل العمارة بقلة كلامه و خصوصية حياته ، حتى تجنب جيرانه الاختلاط معه ، قال خالد مبتسما

- صباح الخير
- صباح النور ، خالد باشا كيف حالك
- بخير و الحمد لله
- تفضل يا باشا ، شرفني في منزلي نأخذ كوبا من الشاي
- وقتا لاحق لدي موعد الآن ، إذا احتجت اي شيء لا تخجل
- شكرا جزيلا خالد باشا

نزل خالد في طريقه ، وقف عزت يراقبه في تعجب ثم قال نفسه مندهشاً سبحان مغير النفوس ... ، وصل خالد الي سيارته ركب بعدما القي التحية علي سيد بواب العمارة ، ثم اتجه في طريقه الي مصر الجديدة حيث فيلا مصطفى أخيه ، وصل بعد أن اقتطع مسافة استغرقت نحو ساعه كاملة ، هبط من سيارته أمام البوابة ثم قام برن الجرس ، فتحت له سيدة فلبينية ترتدي ملابس خادمة ثم طلبت منه بأدب ان يمسح حذاؤه جيداً من الاوساخ قبل أن يدخل ، دخل خالد بعد أن قام بما طلب منه ، ينظر فيما حوله فيلا فارمه مرصعه بالتحف و اللوحات الفنية ، اثاث قيم من طراز رفيع ، كلما رآه خالد ينتابه الانبهار كأنه يشاهده للمرة الأولى ، وقف بين التحف و التماثيل الاثرية رجلاً طويلاً عريض المنكبين يبدو في بداية الخمسينات من عمره ، يمتلك نظره هادئة و حادة في نفس الوقت تعكس نظرة عينية المتعالية رونقه و هيئته ، وقف شامخاً امام خالد و قال له دون أن ينظر مباشرة له ..

- انت متأخر ، لقد شارفنا علي تجهيز الغداء

دخل خالد الشقة بعد أن دعاه مصطفى للدخول ، كان الجميع قد حضر مبكراً يجلسون بالصالون ، كان احمد واضعا قدما علي الاخرى ، بجواره نادية الحداد بجانب زوجها رياض ، كهل طاعن بالسن ، و علي الجانب الآخر السيدة نوال هانم زوجة مصطفى ، امرأة كلاسيكية أشبه باللوحات المرسومة كانت مزينة بالمجوهرات لا تختلف كثيرا و كأنها تحفة فنية من ضمن اساس المنزل ، بجانب أنها حفيدة حسين باشا سراج و هو يعد من أغنى اثرياء الدولة ، و

يجلس بجانبها أخوها الأصغر نبيل سراج و بالرغم من صغر سنه إلا أنه نابغ في التجارة و له صيته داخل المجال ، بجوارهم اكثر الرجال خسه و ندالة .. منير الحداد ، و ذلك ما اربك خالد قليلاً و جعله حائراً ، لما قد يدعوه مصطفى إلى منزله بعد العداوة اللتي بينهم ، أليس هو الرجل اللذي سرق والدنا و حاول تلفيق التهم به ، كما أنه حاول الاستيلاء على مصنع الأسرة بعد وفاته ، لم يأبه خالد لتساؤلاته لم تكن مشاغل التجارة تهويه بالنهاية ، بها يمكن أن يصبح عدو الأمس صديق اليوم ، اعتدل احمد فور دخول خالد ، و قام بالترحيب به ، أما نادية فقد انتفضت من مجلسها و هي تبتسم ثم انهالت على خالد بالترحيب

• خالد ، لقد مضي وقت طويل كيف أحوالك الان ؟

• انا في افضل حال الآن ، في الحقيقة لقد اشتقت إليك ..

رتمت نادية علي كف خالد برقة ، ثم استدار هو و قام بإلقاء التحية علي زوجها رياض الذي بالكاد يحاول اصلا بظهره ، يقول مداعباً ..

• تبدو انيقاً اليوم

ابتسم خالد وهو يرحب به ... ثم قاطعهم السيد منير الحداد قائلاً بلهجة ساخرة ..

• لطالما كانت تسعدني رؤيتك يا خالد .. انت الوحيد الذي تشبهني في هذه العائلة

ابتسم خالد متصنعاً بصعوبة ثم أجاب قائلاً

• انك آخر شخص كنت اتوقع رؤيته هنا

وفقا يتبادلون نظرات يسودها الكراهية حتى قاطعتهم السيدة نوال بدهاء ..

• هل تشرفت بمقابلة اخي الأصغر من قبل يا خالد ؟

• انتزع خالد يديه ثم مدها يلقي التحية على نبيل سراج قائلاً .. بالتأكيد انا اتذكر السيد نبيل جيداً ...

بعدها جلس الجميع يتسامرون ، يخضون مختلف الأحاديث بين العمل و سرعة التطور التكنولوجي و ما يعكسه ذلك على الحياة الاجتماعية ، حتى شجن خالد بين أطراف الحديث ، ينظر إلي نادية و يفكر بعمق ، نادية اختي الصغيرة ، لم تختلف عن سابق عهدها لربما قد تحمل على وجهها العاثرات الحزن و قد انطفئت روحها بسبب عدم قدرتها على الإنجاب و كانت تلك هي لحظة تيقنها بما قسمته الحياة لها إلا أنها ما زالت تملك حيوية الشباب الذي لم تره ، قد كانت تعاني من طفولة قاسية ولدت بعدي بحوالي عشرون عاما او اكثر ، لم تكن قد تجاوزت العشر سنوات إلى ان توفت والدتي من شدة الألم و هي تحاول انجاب احمد ، أصبحت نادية يتيمة في سن صغير كما هو الحال بالنسبة الي احمد ، فقد كان رضيعا حين ذاك ، أصبحت نادية كالأم بالنسبة له ، تدبر اطعامه و الاهتمام بشئونه و دراسته ، كان احمد شديد التعلق بها حتي وصل إلي سن المراهقة ، حينها أصبح يعيش حياة متمردة ، كانت نادية حين ذاك قد وصلت الي سن النضج ، تذهب إلي الجامعة ، نابغة في الدراسة بجانب رعايتها الي احمد ، لم تكن ترى إلى مستقبلها أية ملامح ، لم تكن تملك عدد كبير من الأصدقاء و لم تخض أية تجربة تخرج بها صدق مشاعرها إلا أنه كان يملأها شعور بالرضى و الأمان ، إلى ان جاء يوم و زرانا ضيوف بالمنزل ، صديق والدي توفيق باشا برفقة ولده رياض ذو الخمسة و ثلاثون عاما ، كان رياض يعاني من خجل اجتماعي ، تزوج ثلاث مرات لكن لم يستطع أن

ينجح في زيجة واحدة ، كان ينتهي به الأمر دائماً و زوجته تطلب الطلاق ، حتي يأس منه والده ، كان توفيق باشا يملك شركة للعقارات و رياض ولده الوحيد كان امله ان يري حفيد منه ، جاء طامعا في عرض متباهي نظير ان يتم الزواج في المقابل ، و بعد أن غادر توفيق باشا وولده ، قام والدي بإستدعاء نادبة ، وقفت أمامه في استحياء طفلة في التاسعة عشر من عمرها تضع يديها خلف ظهرها و تنظر باتجاه الارض ، سألها والدي ، هل تعرفين ما غرض زيارة الضيوف ؟ ، اجابت هي بالنفي ، نظر إليها والدي نظرة ثاقبة ، ثم قال لها بصوت هادئ لقد جاء توفيق باشا لطلب يدك لولده رياض ، نظرت إليه نادبة متفاجئة ، ثم تابع هو ... ولقد وافقت ، اغرورقت عين نادبة و حاولت أن تتحدث ، لكن والدي قد قاطعها و قال بصوت حاد " انا اعرف الصالح العام " ، ظلت نادبة ذلك اليوم تبكي داخل غرفتها ، وافقت بعدها على الزواج مغلوبة على امرها ، و أصبحت زوجة لرياض ، لم تكن حياة تتمناها ، و لكنها مع مرور الوقت تأقلمت و قبلت بواقع مصيرها و اكتشفت ان رياض يملك قلبا طيبا علي عكس والده ، و أدركت انها تستطيع ان تعيش حياة هائلة بخلاف الفارق العمري بينهم ، و لكن تبددت نفسها بعد أن اكتشفت انها لا تستطع الإنجاب ، و أدركت أن الحياة قاسية بطبيعتها

- خالد خالد
- المعذرة ... ماذا تقولين ؟
- ابتسمت نادبة ثم اقتربت منه تقول همساً ... لقد سألتك ثلاث مرات .. كيف كان لقائك مع إلهام؟
- لقد كان جيدا ، امرأة لطيفة
- انا سعيدة من اجلكم يا خالد ، إنها مناسبة لك تماما
- تمتع خالد بصوت خافت لم أقرر شيئا بعد
- اقتطع منير حديثهم الجانبي ثم قال موجهاً الحديث إلى خالد ..
- اذا ماذا تنوي بعد أن تم اقالتك عن العمل ، هل سوف تشارك في أعمال العائلة ؟
- و ما الذي يخصك بذلك ؟
- اذاً يبدو لي أن ما يتردد صحيح .. هل قررت أن تعتزل الحياة العملية و تمضي ما تبقى لك كربات المنازل ؟

قالها منير ساخراً حتى اقتطع احمد الحديث قائلاً ..

- لا تزال تقحم نفسك فيما لا يعنك ، هل عقلك متأخر لدرجة انك لا تفهم جملة هذا ليس من شأنك ؟
- ابتسم منير بسخرية قائلاً .. لم تنتضج بعد يا فتى ، اصمت و استمع ..

قاطعهم مصطفى ، طالباً منهم الحضور قائلاً .. انه تم إعداد الطاولة و الغذاء جاهز ، سكت منير لحظات ثم قال موجهاً الحديث لخالد .. لم تنتهي بعد ، ذهب بعدها الجميع باتجاه الطاولة ، ثم وقف الحضور بهمة تسوقها شهية نهمة ، أصناف تسيل لها الأربعة ملأت حواف الطاولة وقف كلاً بمحاذاة مقعده ، جلس مصطفى بمنتصف الطاولة كالمعتاد بجواره زوجته و أبناءه ، ثم جلس ما تبقى من الضيوف بأماكنهم ، كان خالد بمواجهة أخيه مصطفى مباشرة الذي شرع ان يتحدث قائلاً ..

• لطالما حرص والدي على تجمعنا على طاولة الطعام ، لقد كانت هذه آخر وصاياہ ..
اتمنى ان نحرص دائماً على ذلك ، فلندعو له بالمغفرة و الرحمة .. و في البداية أود أن
اطلعم على ذلك النبأ ، لقد قررت أن ادع الخصام و الصراعات جانباً و ان اسير قدماً
فيما يعم بالصالح على العائلة .. ، لقد قررت أن اشارك مع السيد منير في شركة
الحداد و المصنع و باعتبار ما بيننا من قرابة و ما له من خبرة فأنا أثق من نجاح
شراكتنا و تلك هي أولى خطواتنا في النمو و النجاح .. و الآن تفضلوا بالهناء و الشفاء

...

توجه بعدها منير بالشكر على الثقة المتبادلة بينهم وسط ذهول الحضور كان خالد يعيد ترتيب
أفكاره ، لم يكن وقع الكلام مفاجئاً له ، فهو منذ البداية يعرف نواياهم ، شرد محدثاً نفسه للحظة
.. مصطفى اخي الاصغر بحوالي سبعة أعوام ، لكنه كان دائماً يعتبر نفسه اخي الأكبر، كان
نسخة طبق الأصل من والدي بخلاف الشارب الذي يزين وجهه ، طويل القامة و عريض
المنكبين و له نفس شموخ و نظرة والدي ، لقد بدأ بالعمل لدي والدي في مصنع الحديد الخاص
به في بداية حياته ، كان بارعاً ، بدأ من الصفر كما الحال بالنسبة الي والدي ، و لكن عندها
كان المصنع في حال يرثي لها في أواخر ايام والدي ، فترة شهدت استهتار العمال و انهيار
الآلات ، لم يستطع والدي ان يدير المصنع وحده في ظل انهيار حالته الصحية كما أنه لم يستطع
الاعتماد علي لانشغالي بالوظيفة و لا على مصطفى لصغر سنة و قلة خبرته ، لم يكن أمامه
غير ابن عمه منير الحداد ، كان صغير السن حين ذاك و لكن له ذاع في مجال الإدارة و خبرة
في المعاملات التجارية و علاقات لا محدودة ، كما انه أحد أفراد العائلة و الاختيار الأمثل ،
لكن بمجرد أن وطئت قدمه داخل المصنع ازدادت الاحوال سوءً ، قد سلب والدي كل صلاحيات
الإدارة و اصبح التجار و العملاء اكثر طمعاً و العمال أكثر تمرداً ، عندها تدهورت حالة والدي
و اصبح ملازماً للفراش إلى ان توفي ، عندها تولى مصطفى زمام الأمور، كان منير قد دمر
المصنع بالكامل و أنهى به الأمر مديوناً للتجار ، لكن مصطفى استطاع أن ينهض به من جديد
، كان يقاتل من أجل إحياء المصنع ، اعتمد على إنشاء العديد من العلاقات ، كان يستخلص
الأموال من اجل استقدام آلات و عمال جدد ، قام بتطويره حتي أصبح من كبار مصانع الحديد و
الصلب في مصر ، أكتسب مصطفى نفوذه ، تغيرت نظرة الجميع إليه ، أصبح اسم مصطفى
الحداد له شهرة و رنة بين رجال الأعمال ، لم تكن أمامه سوى عقبة واحدة و هي التخلص من
منير الحداد الذي كان بينه و بين والده عقد شراكة ، بعد ان لجأ مصطفى إلى القضايا و المحاكم
و التهديدات قرر أن يتم تسوية الأمر بصفقة متبادلة ، خرج منير من المصنع و لكن الامور لم
تهدأ بينهم ، و لكن طموح مصطفى كان مداه أوسع من الصراعات فهو لم يكتف بذلك أراد أن
يوسع تجارته و يدخل في مجال العقارات ، و نجح بذلك ، كانت الديناميكا المحركة لمصطفى
هو غروره و كبريائه، لقد كان مصدر الهامه ، كان دائماً يسعى الي الكمال ، حتي تزوج و
أنجب طفلين ، ولد و بنت ، الان يعيش الحياة المثالية التي دوما كان يبحث عنها ، رجل ذو
شأن داخل الدولة ، لكنه يبحث دائماً خلف هدف و لم يكتف ابدا بما بين يديه ..

ابتسم خالد ابتسامه مزيفه ثم اكتفى بقول واحد ..

• تهانينا ..

اكتفى مصطفى بإمء رأسه غير مبال ، أما خالد فقد كان يستشيط عقله و تملأه الأحقاد ، بدأ
عندها الجميع في تناول الطعام غير مبالون ، و في النهاية قرر خالد ألا يشغل باله ، ثم بينما
يتناول طعامه وقع نظره الي الحائط خلف مصطفى ، نظر علي الصورة المعلقة أعلاه صورة

قديمة لوالده و هو بيتسم ، ثم شرد خالد بذهنه الي ذكرياته ، عندما كان طفلا ، انا اتذكر تلك الابتسامة جيدا ، اتذكر الأحداث كأنني عالق بداخلها ، كنت مجرد طفلاً ألهو مع اصدقائي في الشارع ثم قام والدي باستدعائي حينذاك ، كان غاضباً بشدة ، ثم وجه لي سؤالاً لم أفهمه .. ما الذي تفعله ؟ أخبرته فقط أنني لعب مع اصدقائي ، ثم ابتسم هو ذات الابتسامة المريبة و قال بسخرية " أصدقاء " لا يوجد أصدقاء ، لا تنساق وراء الأوهام ، لن تراهم مجدداً ، حاول أن تتحلى ببعض المسؤولية

- خالد ... لماذا لا تأكل ؟ سألته نادبة
- انه لا شيء ...

استفاق خالد من شروده المتكرر ، ثم اكملوا جميعا الغذاء في صمت ، و بعد أن انتهوا قرر احمد ان يستأذن سرياً بداعي ان لديه موعد مهم ، أشعل سيجارة ثم قال لمصطفى بسخرية " سفرة دائمة " ، اراكم قريباً ، نظر مصطفى إليه بغضب ، و بعد أن خرج احمد ، توجه مصطفى بالتحدث الي خالد ، قال له بنبرة غضب

- يجب أن نوجد حلاً له ، لن اسمح له ان يهدد سمعتي ، كيف لي ان اكون رجلاً ذو مكانة عالية في المجتمع و اخي يعيش في البارات مع فتيات الليل و المومسات

انتفضت نادبة من وقع كلمات مصطفى عليها ثم توجهت إليه غاضبة

- يجب أن نتحدث معه جيداً ، و لا تعامله بقسوة ..
- رد عليها مصطفى بينما لا ينظر لها ...، هو ليس ذلك الطفل الآن ، انا فقط أريده ان يتحلى ببعض المسؤولية ، و يحترم مكانته ، و لا يعيش وسط القاذورات ..

التفت مصطفى الي خالد و قال له طالبا ..

- ربما يستمع إليك ، انت لك دلالة عليه و هو يستمع لك

اخذ خالد نفساً عميقاً ، ثم ارجع رأسه للوراء ، و قال في هدوء بنبرة حكمة

- سوف اتحدث معه ... اعدكم بذلك

تمر الايام يوماً بعد يوم ، تعبر عن الفوارق عن المسافات عن الاختلافات ، تعبر الآمال و الطموحات ، عن النهايات و البدايات ، الحياة ليست ثابتة ليست منطقية ، تشبه ساعة دائرية

معلقه في منتصف الحائط .. حوافها مصنوع من فولاذ لا يمكن اختراقه و أرقامها هم البشر يعيشون داخل رقعتها و عقاربها هم الاساس المحرك لها ، يمثلون الوقت و الجميع ينتظر .. ينتظر أن يصل إليه العقرب ليصبح حراً من قوانين الساعة القاسية و لكنه يكتشف بعد ذلك انه خرج من تلك الدائرة الصغيرة ليدخل دائرة أخرى داخل ترس كبير يدور في دائرة اكبر تدور مراراً و تكراراً ، هذا هو المنطق المتبع داخلها ، لا يمكنك تغييره و لا يمكنك الهروب منه ، لا يسعك فقط إلا الاختيار اما ان تتخلى عن المنطق و تفقد صوابك او تنتظر أن تصل ساعتك ... ، جلس خالد يمارس روتينه اليومي خلال الأيام الماضية ، يوماً تلو الآخر ، الايام باتت متشابهة ، لكن هذا اليوم كان مختلفاً عن باقي الايام ، ربما اليوم سوف تتغير حياة خالد و تأخذ منعطفاً آخر ، هذا الشعور قد راوده بعدما قرر أن يقدم على قرار استغرقه أياماً من الجهد و التفكير ، احضر خالد مذكرته الخاصة بتدوين الملاحظات و بدأ يدون التالي " ١٢ من نوفمبر عام ٢٠١٣ ، فقط أود أن اعترف بذلك إنني لم انعم بحياة طبيعية خلال حياتي و كلما شعرت بوجود هذا الفراغ كلما زاد عنادي في تجاهله ، انا لا اثق بمشاعري لكن ربما كنت مخطئاً ، و بعد مرور عدة أيام من التفكير العميق ، قررت أن اتخذ قراراً مصيرياً في حياتي الشخصية ، قررت أن اعرض الزواج علي الهام اليوم ، انا لست خائفاً مما انا مقدم عليه ، ربما تتغير حياتي ، لدي امل في ذلك "

أرتدي خالد ملابساً في عجلة ، ثم خرج سريعاً من الشقة حتى لا يتأخر عن مواعده ، وصل الي الشارع ثم حلق عالياً في السماء بتعجب ، كانت تملأها الغيوم ، يبدو أنها علي وشك أن تمطر من العجب ان الأرصاد لم تحذر .. قالها خالد في عقل باله ثم اتجه إلى السيارة ، كان يقف بجانبها سيد البواب ، القي خالد التحية عليه ، ثم أخبره سيد انه قد غسل السيارة كما طلب منه ، أعطاه خالد بعض البقشيش ثم مضى بطريقه ، كان الطريق مزدحم للغاية ، وصل خالد الي المقهى بعد عناء ، ركن سيارته ثم دخل إلى المقهى ، وقف يبحث بعينه ، يتأمل الوجوه بين الجالسين بحثاً عن الهام ، وجدها تجلس علي طاولة منفردة في الركن ، كانت تجلس مصدرة ظهرها له ، اقترب خالد من الطاولة ببطيء بخطوات غير ثابتة كأنه يقدم ساق و يأخر الأخرى ، وقف يفكر بنمعن و يتساءل .. تلك الزهرة الذابلة التي قضت ربيع عمرها تحلم بحياة هائلة تحتويها ، ما الذي جعلها تفكر بي في المقام الأول ؟ هل الحياة بائسة لدرجة ان ترتمي في أحضان رجل وصل من العمر اربعة لم يعرف معنى الحياة حتي الآن ؟ هل انا أملكها الوحيد ؟ ، وصل خالد الي الطاولة ، جلس ثم قال بتحفظ ..

• اسف على التأخير..

أخبرته الهام لا عليك ، نظر إليها خالد طويلاً حتى شرع ان يتحدث بتردد ثم قال مندفعاً ..

• هل تريدان الزواج بي ؟

نظرت الهام إليه بعينان لامعه ثم أجابت بدون تردد ..

• نعم .. اريد ذلك

• تفاجئ من ردها ، تلعث ثم قال متردداً ... هل انت متأكدة ؟ ..

• تهدت ثم قالت ... انا متأكدة ان القادم من عمري لن يكون بحجم الذي قضيته .. لا اريد

ان اكون وحيدة .. قالتها الهام بعد أن اغرورقت عيناها

نظر خالد إلى اعيونها البنية في شجن حتى انتفضت روحه و اختلت أطراف أصابعه ثم قال ..

- اعتقد انك على حق .. اخذ خالد نفساً عميقاً ثم تابع .. دائماً ما كنت اشك في صدق المشاعر ، لكن الآن اشعر انني كنت مخطئاً ..

مد خالد يده برفق و لامس وجه الهام .. لامس بشرتها المتجعدة التي هرمت من أثر الزمان حتى شعر بدفيء جلدها و تقطعات أنفاسها ثم طبقت هي بكفها على راحته مما زاد من شعوره بحنين لم يذقه منذ زمن بعيد حتى نساه ، نظر خالد في عيناها ثم قال برفق ...

- لدي امل ان القادم سوف يكون افضل ، انا اؤمن بذلك ..
- انا ايضاً ..

ابتسم خالد ابتسامه عريضة ثم قال ..

- اذا ما هي الترتيبات اللازمة لإجراء الزواج ؟
- سوف نتحدث في هذا لاحقاً .. ربما يمكنك أن تحضر اخوتك و تزورنا في البيت لنتحدث في كل شيء

وافقها خالد في الحديث عن الترتيبات لاحقاً ، ولكنه كان يشعر ببعض الريبة و التوتر داخله كأنها وساوس و مهممات تحاول السيطرة عليه و كلما عجل في أمر الزواج كان التخلص من وساوسه اقرب و أوشك و رغم ذلك قرر أن يحتفظ بذلك الشعور داخله دون الإفصاح عنه ، عندها حاول ان يكسر الصمت المريب ثم سألها مبتسماً ..

- هل انت جائعه ؟
- أجابت ضاحكه .. نعم للغاية

طلب خالد الطعام و قرر إكمال الأمسية الهائلة مسيطراً على هواجسه و إكمال الليلة على خير ، أخذهم الحديث لساعات طويلة لم يدركوا فيها الوقت حتى تأخر ، قرر خالد بعدها ان يوصل إلهام الي المنزل ، ثم عاود في طريقه ، يدخن سيجارة بينما يتأمل الطرقات و هو يفكر في عظمة القدر و سخريته ، القدر الذي يوصل أشخاص ببعضهم البعض ، في الماضي كان هذا العالم مصدر قلق و حيره له لقد كان يحاول جاهداً الهروب منه يعتذر عن اللقاءات و التجمعات في كثير من المناسبات صنع عالمه الخاص متمثلاً في البيت و العمل و لم يشغل في الانغماس بما يدور حوله من صراعات و شكوك و ضوضاء ، فقط كان يكتفي بالمشاهدة من بعيد ، اما الآن فقد اصبح كل شيئاً مختلف عما سبق أصبحت الشكوك تراوده في كوابيسه و الصراعات يراها عندما يرى انعكاس وجهه في المرآه و الضوضاء تسيطر عليه في شكل هواجس ، الآن يلعب القدر لعبته و أصبح عالمه هو السجن الذي يريد الهروب من و لكنه مازال متردداً لعلها مجرد دائرة اخرى ... ، الهام .. كانت هي شعاع من الضوء الخافت وسط الظلام ، هي الاخت الصغيرة و ليس لها أخوة غير اخت تكبرها بثلاث اعوام ، كانت خجولة نوعاً ما لا تحب الظهور امام العامة لم يكن لديها الكثير من الأصدقاء مثلي تماماً علي عكس اختها الكبيرة كانت طليقة اللسان و عفوية ، اجتماعيه و محبه للظهور إلى حد كبير كانت تمثل القدوة لإلهام كانت تتبعها دائماً و تعتمد عليها بكل شيء ، تعرفت بعدها الهام علي شاب كان صديقاً لأختها ، تعرفت عليه عن طريق الصدفة ، لكنها احبته كانت شديدة التعلق به ، حتي اتفقا علي الزواج ، ثم تزوجته لمدة ثلاث سنوات دون أن ترزق بأطفال لا أعرف مشكلة من حتي اتفقا على الطلاق في نهاية الأمر ، و بعدها حاولت الكره مجدداً لكنها سرعان ما بانئت بالفشل ، هذه المرة لم يكن سوي مخادع ، صدقت حتى رآته يخونها بعينها و عندها شعرت انها مصدر المشكلة ، ثم

قررت أن تنحصر داخل نفسها و تصنع عالمها الخاص لكنها لم تنتج من الاتهامات و النظرات و المهمات حاولت ان تهرب مرارا و تكرارا حتى فنى عمرها سنة تلو الأخرى بين الأوهام و الأحلام الفانية ثم أدركت لعنة الوقت و خشيت ظلام الوحدة و عندها لعب القدر لعبته ، و اوصلها بي ، فريدة اختها الكبرى لم تقتطع اتصالها بناحية بعد ان تركنا المنزل ، و من هنا تقدم كلا الطرفين بالنصيحة ، و تلاقى عندها اقدارنا في لحظة احتاج فيها كل منا إلى هذا الضوء من الأمل ، و على هذا النحو ، فإن الحياة ليست ثابتة و ليست منطقية ، دائما ما كانت و دائما ما سوف تكون ، وصل خالد الي بيت في تمام التاسعة مساءً كان الطقس قد ازداد برودة و هبطت رياح غوغاء من السماء ، سيطرت على الشارع حركة سكوت غير طبيعية ، بشكل غير معتاد مما اربك خالد و شعر في صدره ببعض الضيق ، ارتفعت نبضات قلبه بمعدل متزايد ، ما الذي يحدث ؟ تساءل خالد و هو يهبط من السيارة بعد أن ركنها ، ما سر هذا القلق المفاجئ ، ثم بدأ ينظر فيما حوله يمينا و يساراً في منتصف الشارع ، سيد البواب لا يوجد له أثر ولا لأي شخص آخر غيره ، لقد اغلقت المتاجر و المحلات قبل أوانها ايضاً ، ربما بسبب سوء أحوال الطقس المفاجئة ؟ ربما ، لكن اشعر بعدم الاطمئنان و القلق ... وقف خالد يحدث نفسه بذهول حتى قرر الا يرهق نفسه بالتفكير اكثر من ذلك ثم دخل الي العمارة ... نظر الي لافتة معلقة بأن المصعد عطلان ، متي يصلحون هذه الخردة ؟ اولم يأخذوا مالا زهيدا لإصلاحه ؟ ذهب خالد الي السلم مغلوباً على امره يصعد الدرج خطوة تلو الأخرى و هو يحاول النقاط انفاسه بصعوبة ، شعر بأنفاس قريبه منه و كأن احداً ما يلاحقه ، التفت خالد يمينه و يساره في دعر لكنه لم يجد اثراً لأحد حوله ، وقف حائراً قليلاً لكنه لم يجد تفسيراً لذلك ، ثم اكمل ما تبقى درجات السلم و هو ما يزال يشعر بحرارة ما ، شيئاً يتتبعه و يتأمله و لكنه بالنهاية لم يلتفت و حاول اقناع نفسه ان ذلك من أثر إرهاق اليوم ، وصل خالد الي شقته العتيقة ، وقف يفتش على المفتاح في جيوبه حتى وجده ثم وضعه في الثقب بعنايه و فتح الباب ببطيء و كأنه يسمع صوتاً خافتاً في الداخل ، دخل الي عتبة الشقة في الظلام الدامس ، ثم استدار ليوجد باب الشقة ، شعر به حوله في عتمة الظلام

● لقد كنا في انتظارك ..

انتفض خالد و تملك منه الفرع للحظات و يحاول الاستدراك و اعادة رباطة جأشه ، التفت الي مصدر الصوت ببطيء ، ثم أضاء زر النور حتى وضحت الرؤية أمامه جلية ، كانوا ثلاث رجال امامه ، أحدهم يقف بجوار الأريكة يحملق في خالد بسكون لا تبدي ملامح وجهه اية تعبيرات ، و الآخر يفتش و يبعثر في المكتبة و لا يعير خالد انتباه ، و الثالث كان مصدر الصوت مستلقي علي الأريكة بامتعاوض واضعاً قدم علي الأخرى و يمد راحتيه على مسند الأريكة ، راسماً ابتسامة مربية علي وجهه ، يبدو أنه رئيسهم ، وقف خالد بينهم مذهول يحاول الاستيعاب ، استجمع شتات تفكيره ، ثم ابتلع ريقه و سأله بحده ..

● من انتم ؟ و كيف دخلتم الي هنا ؟

ضحك الرجل بسخرية ثم قال ...

● لا تخف ، لن نؤذيك ، فقط بضع الكلمات و نرحل في سلام ..

أشار الرجل و هو يبتسم إلى خالد بالجلوس ، وقف خالد متردداً و مشتت الذهن قليلاً ، ثم قال بحده ..

- من انتم ؟ .. لن أكرر السؤال مجدداً
- ضحك الرجل مستهتراً بكلامه و هو ينظر إلى رجاله ساخراً ثم قال ..
- انت لست في وضع يصدر التهديدات ، صدقني
- انطفأ غضب خالد قليلا بعد وقع الجملة عليه و بدأ يستشعر الخطر في كلام الرجل ، ثم نظر إليه الرجل مجدداً و قال
- الان هل يمكنك أن تجلس ؟ ، لن يستغرق الأمر طويلا ...
- قرر خالد ان يستمع لما عنده و شعر انه لا يملك خياراً آخر ، اقترب منه ببطيء و حذر ثم جلس على مقعد بحذاء ، تنهد ثم قال .
- الآن هات ما عندك ...
- اعتدل الرجل في جلسته ثم نظر بحده في عينيه و قال ..
- خالد باشا الحداد .. ، ثلاثون عاماً من التفاني في العمل ، لقد كنت مثالا يحتذى به داخل الجهاز أكاد أجزم بذلك ..
- قاطعه خالد .. مهلاً هل تعرفني ؟! ..
- نعم بالطبع .. لقد قرأت ملفك بعنايه و تتبعت تحركاتك و جهات اتصالك طوال الايام الماضية ، انا اعرف كل شيء عنك
- أسند خالد ظهره علي الكرسي ، اخذ نفسا و بدأ يتصبب منه العرق ، بعض الافكار تجول في رأسه بشكل غير منتظم ثم قال ..
- هلا أخبرتني لماذا جئت إلى هنا قبل افقد صوابي ؟ ...
- استقام الرجل من مقعده علي قدميه و بدأ يدور حول خالد و بلهجة شديدة الحدة بدأ يسرد ..
- بكل سرور سوف أخبرك سبب هذه الزيارة ... في ٢٥ من شهر مارس اي ستة أشهر تقريبا منذ الآن قد تقدم قرار بإحالتك على المعاش و فصلك عن العمل لأسباب غير معلومة ... و تروجت بعض الاشاعات بأنك أصبحت مستهترا في العمل بالأونة الاخيرة و ايضاً كانت الأسباب مجهولة ..
- اقترب الرجل من وجه خالد ثم ابتسم و قال همسا ..
- لكن هذا ليس سبب الزيارة في الحقيقة ...
- بدأ خالد يشعر ببعض من الضيق و الاختناق و يواتيه بعض الدوار ، كان الرجلان الآخران يحملقان فيه بصمت بلا حراك مما اربكه ثم قال خالد بضيق ..
- ماذا تريد مني اذا ؟ ما الذي تبحث عنه ؟ الا تعرف من اكون ؟ .. بدأ خالد يسأله و هو يمسح عرقه بقلق
- نظر الرجل إليه بوجوم ثم تابع ...

• بعد أن تركت الخدمة بشهر تقريباً قد اكتشفنا بنقص في بعض الملفات الهامة ، ملفات خاصة ببعض الشخصيات الكبيرة و الخفية داخل الدولة ، و انت ضمن المشتبه بهم يا سيد خالد ... انت بالطبع تعرف مقدار هذا الوضع ، يمكننا أن نأخذك و نحقق في المسألة بشكل قانوني ، لكنك كنت تعمل داخل الجهاز لسنوات عديدة و تعلم جيداً ان الامور لن تسير هكذا ... صمت الرجل لبرهه ثم قال .. اظن ان الوضع لن يكون جيداً ، لا تحاول التلاعب معنا لأنك على بعد خطوات من ان تفقد عقلك ..

جلس خالد عاجزاً عن النطق و الحراك ، ثم قال الرجل اخيراً قبل أن ينصرف ..

• خالد باشا " انت تحت المراقبة " .. و ربما قد تدوم لوقتاً طويلاً

اشار الرجل الي رجاله بالانصراف ثم قبل أن يخرج ربت علي كتف خالد و قام بتوديعه قائلاً بسخرية ... اتمنى لك التوفيق فيما هو قادم ثم ذهب خلف رجاله و ترك خلفه خالد حائراً و تائهاً بين أفكاره

الثمانينات ... لا استطيع تذكر إلا لمحات مشوشة من تلك الحقبة كأنني ألقب في اليوم صور قديم او كأنني أشاهد إعلان لمنتج ما عبر شاشة التلفاز مستخدماً آلة زمن ، لكنني لست إلا عابر سبيل أشاهد فقط بعض المقتطفات ، كأنني اخوض داخل أعماق حلم مزعج و ابحت عن النجاة لكن الجميع ينظر لي مذعورين يحاولون تجاهلي او الابتعاد عني ، يتأملوني بدهشة ، يتأملون ملابسي و تسريحة شعري كأنهم يشاهدون مهرج ما ، لقد ضللت طريقي بين الاوهام و لن يستطيع احد مساعدتي ، إذا ماذا انا بفاعل الآن ؟ ، انا اسير و اجول في شوارع هذه الحقبة بين الصفحات جل ما أتذكره انها انت كمرحلة انتقالية تحمل بين طياتها آثاراً لمخلفات السبعينات فقد انتهى عصر التحرر تاركاً خلفه آثاراً الفوضى و غياب الوعي و الاهمال و قد فاحت منه رائحة المخدرات و التلوث البيئي ، أتذكر الأحداث و التواريخ و الصور كأنني أشاهد شريط فيديو ، انت عندها الثمانينات بثورة جديدة على الانفتاح و التطور التكنولوجي ، كانت شرارة متوهجة تجذب الأعين و لكن ازداد وهج هذه الشرارة حتى اندلع حريق هائل ، فقد كان للتطور آثاراً علي المجتمع بعضها إيجابية و بعضها سلبية ، مع الانفجار السكاني الهائل اصبح التكس خانقاً و زادت نسبة البطالة التي بدورها ادت الي زيادة الفقر و التعصب وانتشار الجهل ، أصبحت السرقة و القتل و الاغتصاب جزء من حياتنا اليومية ، فقط الاستبداد و القهر يحكمان و الخوف ينبعث في الأنفس حتى من ذاتهم ، بعض ظواهر كانت كفيلاً ان تظهر البشر على حقيقتهم و عندها أصبح العالم في حاجه إلى نظام قوي يحكم هذا الترس الدائري ، ربما كانت مجرد دوائر صغيرة داخل دائرة كبيرة تديرها منظومة ذات حكم طاغي و هكذا

سارت الامور دائماً ما كانت و دائماً ما سوف تظل ، لقد مررت بهذه الحياة من قبل اسير في الشوارع و الطرقات مجدداً ، لقد شاهدت هذه الاحداث من قبل ، آنذاك الوقت عام ١٩٨٣ بالتحديد في الخامس من يوليو يوم السبت ، أشاهد هذا المبنى العملاق مكتوب على بوابته بالبنت العريض شركة الفتح للتمويل العقاري ، و ذلك كان الشارع من الخارج فقط اما من الداخل كانت مؤسسة تابعة لذلك الجهاز المسمى بجهاز جمع المعلومات (جهاز المخابرات العامة) في مسماه الحديث ، دخلت كشاب لم يتجاوز الثلاثون من عمره اعبر خلال الممرات و المكاتب ، أتأمل الجدران برهبة و ذهول ، أخذني شخصاً ما بعد أن أخبرته أنني أتيت لأجراء مقابلة ، أوصلني الرجل إلى احد المكاتب ثم فتح الباب و قال لي بلباقة .. تفضل يا سيدي استريح هنا قليلاً ، دخلت الي المكتب ثم اغلق الرجل الباب خلفي ، وقفت في منتصف المكتب أتطلع في الاثاث و الديكور ، كان مكتب من طراز كلاسيكي خالي من الزينة لا يوجد صور لا يوجد لوحات و لا يوجد لافتات ، فقط ساعة حائط و مرآة صغيرة معلقة ، وقفت أتطلع بكل شيء حتى تملكني بعض التوتر لطول الانتظار ، ثم جلست علي مقعد جلدي بجوار المكتب منتظراً ان يأتي أحدهم، بعد بضع دقائق دخل علي رجلاً مهيباً يبدو في الخمسينات من عمره ، انتفضت من مجلسي لرؤيته ، أشار لي الرجل ان اجلس بإشارة من يده ، كان رجلاً موقراً قصير القامة ، خصلات شعره المشطبة بعناية تميل إلى اللون الرمادي ، و برغم من هيبة مظهره الا انه كان بشوشاً إلى حد ما ، جلس بالمقعد المقابل لي ثم اخرج ملف ورقي و بدأ يتصفحه بعناية دون أن ينبس بكلمة ، شرد بضعة لحظات ثم قال مبتسماً دون أن ينظر لي ..

• تبدو عليك ملامح القلق ..

مسحت عرقي بتوتر ..، ثم نظر لي الرجل و قال بنبره واثقة ..

• لا تقلق يا خالد لقد قمت باجتياز جميع الاختبارات ، و هذا ليس أحد الاختبارات ..

حينها تنفست الصعداء و قل توتري بالتدريج قليلاً ، لقد كانت تملئني حماسة الشباب آنذاك و يسيطر علي الطموح و انعدام الخبرة ، كنت على بعد درجات من عالم لا أفقه به شيئاً و عندها كانت تقودني حماستي ، عاود الرجل النظر الي الملف مرة اخري ، و من ثم اخذ يقرأ بنشوة و سعادة يغلبهما الذهول ثم تابع ..

• انه حقا اداء متميز ، كل الارقام تشير انك قدمت اداء جيداً في جهاز الشرطة ، و ايضاً نتائج اختبارائك تشير إلى كفاءتك ..

غمرتني السعادة و الفخر من أثر الإطراء و عبرت عنها بابتسامة ، ثم نظر الرجل لي و قال بنبره جادة ..

• لكن الأمور هنا مختلفة بعض الشيء .. اشبك الرجل اصابعه ببعضها ثم قال بتروي .. هل يمكن اسألك سؤال ..

• تفضل حضرتك .. قلت بأدب

• ... ما هو برأيك دورنا في جهاز المخابرات ؟

• صمْتُ قليلاً افكر بحيره في الرد المناسب على سؤاله ، فقد كان سؤالاً محيراً بالرغم من بساطته .. دورنا هو حفظ الأمن يا سيدي

ضحك الرجل عالياً ثم قال لي مبتسماً ...

- أستمع إلى بعناية يا بني ، ربما لن تستمع إلى هذا الكلام من احدا آخر ، انت تبدو لي شاب طيب القلب يا خالد و لكن لا تأخذ ظواهر الأمور ، يجب ان تعلم ان هذه الحياة ليست عادلة ، و ليس لها وجه واحد بل عدة أوجه ...
- ما معنى ذلك ... ؟ سألته ببلاهة

اعتدل الرجل في جلسته ثم قال بثقة ...

- علي سبيل المثال يمكن أن تراني كرجل صالح متفاني في عملي ، ربما اكون كذلك بالفعل ، لكن يوجد بعض الناس لا يتفقهون على ذلك ، يجب أن تعلم أن الحقيقة ليست مطلقة لا تصدق كل ما تراه او تسمعه ، و في هذا العمل السياسي اذا كنت تشغل منصبا هاما سوف تكون دائماً محض أنظار الجميع ، و صدقني لا يوجد اكثر من الحاقدين في هذه البلد لهذا " يجب عليك ان تعرف فيما يفكر أصدقائك قبل أعدائك "

بدأ الكلام يتوغل و يتشكل داغل عقلي ، بدأت استوعب ببطيء ثم قلت بنبرة رسمية ..

- شكرا لك يا سيدي ، سوف أتذكر دائما هذه الكلمات ..
- انا واثق في ذلك ، انت تتمتع بالذكاء ، استطيع ان أري ذلك من خلال عينيك ، علي كل حال أود تهنئتك سوف تعمل تحت ادارتي ، انا أضع آمال كبيره عليك
- سوف اكون عند حسن ظنك يا سيدي

عندها وقف الرجل بمحاذاتي ، ثم ربت علي كتفي برفق و قال .. اتمنى لك التوفيق فيما هو قادم ..

الخامس عشر من نوفمبر ٢٠١٣ ، بعد مرور ثلاثة أيام ، لم يذق خالد النوم ، لم تنعم جفونه بالراحة ، و لم ينقطع عقله عن التفكير ، يتحرك يمينا و يساراً داخل الشقة ، يتأمل الشرفة ، يتأمل الحركة النابضة في الخارج ، يتأمل الأعين اليقظة ترقبه ، يدخل سيجارة تلو الأخرى ، يفكر في سنون حياته التي افناها في العمل جاهدا من أجل لا شيء ، يفكر في كلمات ذلك الرجل ، في ملامح وجهه العايب و ابتسامته الشيطانية ، عن ماذا يبحث في خزانة رجل وصل الى الستون من عمره ؟ انا هالك بالفعل ، لقد ظننت يوماً ما أن الحياة تبتسم لي لكن مع مرور الوقت ادركت انها كانت ابتسامة سخرية ، انا اشعر بالعجز ، لا استطيع الحراك ، ماذا يجب أن أفعل؟ .. ، يجب أن أتحدث مع شخصا ما قبل ان تقتلني الحيرة ، يجب أن أتحدث مع شخص أثق به .. ، بدأ خالد يستجمع شتات نفسه ، يبحث فيما حوله بحيرة حتى وجد هاتفه المحمول

التقطه ثم بدأ يتأمل الأرقام و الأحرف بصعوبة شديدة ، ثم ضغط على أحد الأرقام و قام بإجراء الاتصال ... مصطفى ، يجدر بي ان اتحدث معه .. بدأ خالد يحملق في دقات الهاتف بنفاد صبر ، حتى اجاب مصطفى بصوت متهدج يوحي بشيء من البرود و لكنه انتفض لسماع صوت خالد الذي بعث فيه الخوف و القلق .. طلب خالد منه أن يجمع إخوته عاجلاً لأمر بالغ الأهمية ، حاول مصطفى البحث عن التفسيرات و الإجابات على تساؤلاته المتكررة و لكن خالد كان صارماً و جاداً فيما يطلبه و أخبره انه سوف يشرح لهم كل شيء عندما يجتمعون و أكد أنه أمر شديد الخطورة لا يجب التهاون فيه ، في آخر الامر أخبره مصطفى بذلك انه لن يكون متاحاً لذلك حتي يوم العطلة ، ثم وافقه خالد ، يوم العطلة اذا .. ليس علي سوى الانتظار ... سوف أخبرهم بكل شيء ، نحن نسير داخل قارب واحد و ها نحن ذا قد هبطنا إلى قاع الظلام ، سوف انتظر لنهاية الاسبوع ، ترى كيف سوف اشرح لهم ؟ هل سوف يتقبلون ما احتويه من اخبار بتلك البساطة ؟ ، انا لا أملك الوقت ، انا حقاً هالك ...

في ظل سكون الظلام الدامس تبددت كثافة السحب و تحول لونها الرمادي الغامق إلى بخار عائم في نور شعاع الشمس الحارقة على بعد ملايين السنين الضوئية ليعلن عن نهار يوماً جديداً ، كان الجمع مجتمع ذلك اليوم مصطفى و اخوته بمنزله ينتظرون خالد بعد عدة أيام من الواقعة الأخيرة ، تملكتهم الحيرة جميعاً و غلبت عليهم التساؤلات ، ترى ما هو الامر بالغ الأهمية ؟ انها المرة الأولى التي يطلب فيها خالد ان نجتمع ، قاطع مصطفى تساؤلاتهم ثم قال بوجه صارم .. سوف نعرف بعد قليل ماذا يخبأ في جعبته ، نظر الي الساعة في معصمه لقد تجاوزت الثامنة مساء ، تأخر للغاية ، لقد بدأت أشعر بالقلق ، رن الجرس مقاطعاً ، ها قد وصل اخيراً ، من العجب ان يعطينا ميعاد و يتأخر بهذا الشكل المبالغ .. قالها مصطفى قبل أن يدخل خالد .. ، دخل خالد الى صالون الفيلا وقف يتأملهم بصمت ، تبدو عليه ملامح التوتر .. قال احمد مازحاً بسخرية .. نتمنى ان تكون محملاً بأخبار تعفي عن عبئ هذا الانتظار ، نظر إليه خالد مقطباً ، ثم جلس علي المقعد دون سلام او كلام ، نظرت إليه نادية بأسف ثم قالت له ...

• تبدو مريضاً ..

• رد عليها بصوت مبحوح .. انا بخير الان

نظر مصطفى إلي ملابس المتهرئة ، و بدأ يتأمل لحيته قد انبتت و ما تبقي من شعره غير مصفف ، كانت تفوح منه رائحة ، شعر مصطفى انه لم يستحم منذ فترة ، ثم قال له

• انت تبدو في حال مزرية..

رد عليه خالد بعدما رمقه بلا مبالاة

• لا يهم ... أردت فقط أن اجمعكم لأخبركم بشيء في غاية الأهمية

التفت الجميع له ، وجمت وجوههم جميعاً لما يحمله وجه خالد من جديه ، ثم قال مصطفى بفضول ...

• كلنا اذاناً صاغية ...

اعتدل خالد في مجلسه ليقص عليهم ما حدث ، تنهد ثم بدأ يحكي ..

• منذ بضعة أيام ما يقرب إلى اسبوع تقريباً تعرضت لحادث مفاجئ ، اقتحم بيتي ثلاث رجال أثناء الليل ، بعدها اتضح لي انهم يعملون لدى جهاز المخابرات .. صمت خالد لبرهه ثم تابع ... لقد تم الاشتباه بي في سرقة بعض الملفات الهامة قبل احوالي على المعاش مباشرة ، علي هذا النحو تم تكلفة أحد الضباط بالتحري و التحقق في أمري ..

قاطععه احمد متسائلاً ...

• انه ليس بالأمر الجلل ، بمجرد أن يكتشفوا انك ليس لك علاقه بالأمر سوف تحل المشكلة.. أليس كذلك ؟

نظر خالد إلى احمد بوجه عابث و نظرة مخيفه ثم رد قائلاً ..

• لا .. ما زلت تحت دائرة الاشتباه ، لن يهدئوا قبل ان يتخلصوا مني ، لقد اصبحت هدفهم هذا ما أكده لي ذلك الضابط ..

نظر احمد بجديه إلى اعين خالد المرتعشه ثم سأله ..

• لماذا يمتلكك الفزع إلى هذه الدرجة ؟

نظر خالد إليه ثم قال بأسى ..

• لأنني اعرف أساليبهم في التعامل مع مثل تلك القضايا ...

سأله أحمد متردداً ...

• أخبرني يا خالد .. هل اخذت تلك الملفات ؟ و ما هو الشيء بالغ الأهمية داخل تلك الملفات ؟

شرد خالد قليلاً يلوح بنظره في الفراغ المحيط بالغرفة كأن شريط من الأحداث القديمة يمر امام عينيه ، ثم اجابه بيقين و ثقه ..

• لقد كانت الملفات تحمل بعض القضايا الملفقة و التسجيلات لبعض الشخصيات الهامة داخل الدولة .. لكنني اقسم لكم انني لم آخذ تلك الملفات ..

كانت ناديه تستمع لكلمات خالد متأثرة و مصدومة لكنها لم تجد ما تقوله ، لم تعهد خالد بهذا الشكل من قبل ، اما مصطفى كان يستمع بتركيز شديد إلى ان ابتسم بسخريه غير مبررة ... التفت الجميع له ، ثم شرع هو بالتحدث مشيراً بالكلام الى خالد قائلاً ..

- هل تريدني أن أصدق تلك الترهات ، يبدو لي انك فقدت صوابك بعد أن تركت العمل و بقيت في المنزل عدة اشهر .. انت تنجرف الي هاوية الجنون و بدأت تتوهم العديد من الأشياء .. فكر ماذا سوف يحدث إذا انتشرت تلك الخرافات اللتي تحملها ، فكر في اسم العائلة ...

نظر خالد إليه بغضب ثم قال بحدة ..

- لقد أخبرتك للتو ان حياتي باتت في خطر و قد تكون حياتكم كذلك ، و كل ما تفكر به هو مظهرك العام

وقف مصطفى في وسط الجالسين غير مبالي لكلمات خالد ، ثم اشار بأصبعه إليه و تحدث بنبرة عالية ..

- انظروا له ، انظروا الي اخيكم الأكبر ، كان من المفترض أن يمثل القدوة بالنسبة لنا ، كان من المفترض أن يكون هو رب الأسرة بعد موت والدي ، انظروا له ، لم يأتي إلينا الا محملاً بالعار و الخرافات ..

اغرورقت عيناه خالد أثر الكلمات التي ألقت عليه .. نظروا جميعاً له نظرة أسف و شفقه ، يتأملونه بغربة و اشمئزاز .. ثم قالت ناديه إلى خالد مترددة

- يبدو انك تحتاج إلى الراحة و الهدوء يومان او ثلاثة ..

لم يبالي خالد لما تقول ثم نظر الي احمد بتوسل ، اشاح احمد وجهه و نظر الي الارض بأسف ، جلس خالد مغلوباً علي أمره بين إخوته ، ثم قال بحزن ..

- اذاً انتم تصدقون انني قد فقدت صوابي و اتوهم تلك الأشياء ..

صمت الجميع عاجزين عن النطق ثم قال مصطفى يختتم حديثه ..

- لقد اضعت وقتي في حديث لن يؤتي ثماره ، اعتقد انها نهاية النقاش ، تصبحون على خير..

رجع خالد الي منزلة محبطاً ، كأنه لاعبا قد ولت ايام اعتزاله لا يستمع الا صافرات الاستهجان داخل أذنه تكاد تخنقه ، قالها حكيم ذات يوم الحقيقة ليست مطلقة ، انا لا اريد إيضاح وجهة نظر انا فقط ابحت عن النجاة ، ربما يفشل المهرج اذا توقف الجمهور عن التصفيق ، انا لن استسلم الي الموت لن أكون ذلك المهرج .

تعالى الفقاعات البنية المتضاربة حتى كادت تنهمر ، و ارتفع بخار الماء بشدة معلناً عن الغليان ثم انتشل الرجل البراد بعد أن وضع فنجانين فارغان بحذاه ، وقف يقطر القهوة بعناية داخلهم حتى امتلأت حواف الفناجين ، وقف أمامه النادل منتظراً للنهاية ثم رفع الفنجانين على طبق فخاري بحرص ، ثم ذهب في طريقه يمر بين الطاولات حتى وصل إلى مقصده ، وضع الفنجانين على الطاولة بأدب نال عليه استحسان و ثناء ثم رحل في صمت .. جلس خالد يتأمل فنجان القهوة بتأني ثم اخرج من جيبه علبة السجائر و القداحة .. وضع سيجارة بين شفتيه البنفسجية و قام بإشعالها .. ارتفع الدخان في السماء ليحجب اعينه الحائرة و ذهنه الشارد .. حملق خالد في سماء أفكاره ، يفكر و يتساءل .. لقد تناثرت الكلمات و الحروف و بقى الفراغ المحيط داخل عقله يتشكل و يتغلغل بهدوء داخل السنايا المظلمة في ماذا سوف يقول ، ماذا سوف يخبرها .. قطعت إلهام حبل أفكاره و الصمت المحيط ..

• هل انت بخير ؟ ..

اجابها خالد بلا مبالاة ..

• لقد تخطى عني اقرب الناس لا اعتقد أنني بخير ..

نظرت له إلهام بقلق ثم سألته ..

• ماذا حدث ؟

شرد خالد قليلا يحملق في فنجان القهوة ثم قال

• انا لست متأكداً لكن يملكني بعض الخوف ...

• خوف من ماذا ؟

• من نفسي ...

أسندت إلهام ظهرها إلى المقعد ثم نظرت إليه في حيرة ..

• انت تبدو مرهقاً ، لماذا لم تكن تجيب على هاتفك الايام الماضية ..

اخذ خالد نفساً عميقاً من سيجارته ثم سألها بتردد ..

• هل يمكنني أن أثق بك ؟ ..

• بالتأكيد .. أجابته بثقه

التفت خالد يميناً و يساراً ، ثم نظر إليها و قال بجدية

• لقد تم الإيقاع بي في احد القضايا و بعض زملاء العمل القدامى يترصدون بي ..

- حقاً .. هل انت جاد ؟
- اماء خالد رأسه بالإيجاب ، نظرت له إلهام باندھاش ، تفكر قليلاً ثم سألته بنبرة سخرية ..
- هل تخلق عذراً خيالي لتتهرب من الزواج بي .. يمكنك أن تقولها دون تبرير..
- انتفض خالد منفعلاً أثر كلامها ..
- انا لا اختلق اعدار ، و لن أراجع عن قرار الزواج
- نظرت إليه مجدداً في قلق .. إنه جاد فيما يقول ، لامست إلهام كفه برقه ثم سألته ..
- إذا ما العمل في تلك المشكلة ؟
- نظر خالد الي عينيها بشدة ، ثم قال لها بلهجة حماسية
- سوف ادافع عن نفسي و عن حقي ، لن أكون ضحية لمؤامرتهم ..
- سألها خالد بثقة ..
- هل تريدین إتمام الزواج في موعده أم لا ؟
- أماءت إلهام بالإيجاب .. ثم قال خالد حاسماً ..
- اذاً ليكن الزواج في موعده ، و ليكن في منزل العائلة ، منزل والدي ، اعتقد انه مع بعض التحضيرات و الترتيبات سوف يكون مناسباً ..
- لم تمنعه إلهام فيما يقول ، و لكن كان يملكها بعض التوجس و القلق ، و لم تقتنع بكلامه السابق ، و لكن على كلاً سوف يقام العرس في موعده بالنهاية ..

وقف خالد إمام المرآه يتأمل تشققات وجهه ، كهل وصل الي مرحلة متأخر من عمره ، ما الذي يجعلك تتشبث بالأمل بحق ؟ انت تعلق امالك علي احوال ذائبة ، انت مجرد وغد لعين لا قيمة له ، فقط اجعلهم يعانون ، كان بإمكانك ان تقلب الطاولة منذ زمنأ بعيد ، لماذا لم تفعل ذلك ؟ ، انت لا تستحق أن تكون الضحية ... فتح خالد الماء الساخن ، شعر بالحرارة ، و اندثر البخار الذي

أخفي ملامحه العابثة ، رفع مكنة الحلاقة ببطيء ، و بدأ يحكها في جلده السميك ، حتي بات نظيفا كطفل في السابعة عشر من عمره ، امسك الماء الساخن بين راحتيه ، و مسح به وجهه المتهرتل ، ثم جفف وجهه جيدا ، نظر الي نفسه في المرآة نظرة اخيره ثم قال متلعثما " لا تستسلم "

وقف خالد شبه عاريا أمام بذلة سوداء انيقة ، أرندي الثياب سريعا ، بدى أنيقاً كشاب في ربيع عمره ، احضر رابطة عنقه ثم ربطها ، نظر في هاتفه المحمول ، الكثير من المكالمات الفائتة ، لا اهتم كثيرا ، وقف لحظات يفكر اذا كان قد نسي شيئا ، ثم خرج من باب الشقة يمشي بخطوات واثقة ، ركب سيارته ثم انطلق في طريقه ، حتى وصل الي بيت العائلة بحي الزمالك ، البيت يعم بالأضواء و الاصوات الصاخبة ، كانت قد ضربت خالد موجة من الذكريات منذ اقترابه من الحي ، دخل إلى مقدمة المنزل ، كان احمد يقف بانتظاره ، يدخل سيجارة و تبدو عليه ملامح الارتباك ، بمجرد أن رأى خالد توجه إليه مسرعا ...

- ما الذي اخرجك .. لقد شعرنا بالقلق حيالك ..
- بعض الأوغاد كانوا يتعقبونني لقد استغرقت بعض الوقت حتي أفلت منهم ..

نظر إليه احمد باندهاش ثم قال له معاتبا

- يجب أن تتخلص من تلك الاوهام يا أخي ..

سحبه احمد من يديه و هو يقول له ان الجميع بالانتظار ، دخل خالد وسط تمتمة الحضور لم تكن الإعداد كبيره ، حفنة من كبار السن و بعض الأقارب المجهولين .. متوسط اعمارهم من الأربعون فما فوق ، قال خالد في نفسه ساخرا ما الذي جاء بي الي دار مسنين ، وقف الجميع يتطلعون في وجهه ، تظهر من أعينهم نظرات الاستحغار ، لماذا يتكبدون العناء ، لماذا يتكبدون العناء بدهن وجوههم بمستحضرات التجميل و التزين بالأزياء الفارهة و المجوهرات ، انها مجرد مظاهر خادعة ، هذا أشبه بعرض او فقرة من نوع خاص ، يشبه عرض السيرك و خالد هو نجم الليلة ، هو المهرج .. ربما ينتظرون بعض الحركات البهلوانية المضحكة استطيع ان أري ذلك في أعينهم المتشقة ، ادعو الله ان يمر هذا اليوم بسلام .. قالها خالد محدثا نفسه ، ظهرت الهام بين الحضور متأقنة تنظر الي خالد بعتاب بسبب تأخره ، سحبتة ثم جلسا بمقعدين جانب بعضهما ، أخرج خالد علبة بها خاتمين فضه و ذهب ، ثم امسك يديها برقة ، لامس أصابعها البيضاء ثم أدخل الخاتم برفق بينهم ، بمجرد أن تم عقد القران تعالت أصوات الزغاريد فوقه ، نظر في وجوه الحاضرين حوله ، تلك الفرحة العبثية ، تلك الضحكات الزائفة ، يتوافدون علي خالد بالقبلات و التهنة ، واحدا تلو الآخر ، نظر خالد الي الهام تلك السعادة التي تخرج من أعينها كطفلة حققت حلمها ، سرعان ما انتهى اليوم علي خير ، قام خالد بتوديع الضيوف جميعا بعدها في نهاية اليوم ، ثم قام بتوديع إخوته بشكل خاص ، حرصت فريدة اخت الهام الكبرى ان تخبره أن يعتني بإلهام ، طمأنها و أخبرها ألا تقلق ، بعد ذلك انطلق خالد عائدا الي البيت مع زوجته ، شعور جديد لا يعرف معناه ، لقد قضى سنون حياته بين دفاتر العمل يسمع عن الزواج من خلال زملاءه فقط ، لم يكن يعرف كيف تسير الأمور ، لا يوجد منهج للعلاقة أنها فقط تبادل مختلط من المشاعر لكنه حقا لم يكن يدرك طبيعة المشاعر ، وصل خالد الي المنزل ، دخل من الباب بعد زوجته .. وقفت هي تتأمل الشقة للحظات ... وقف خالد يتابع تحركاتها ثم جلس علي اريكته يخرج آثار ذلك اليوم المرهق بتهنيده عبرت عن تعب و كسرت الصمت السائد بينهم ، كأن يريد خالد ان يطمئن الهام و يخبرها ان الامور سوف تكون

علي ما يرام و أنه سوف يقضي علي من يتربصون له ، لكنه شعر انه ليس الوقت المناسب ،
إنها ليلة زفافها لكن هناك سؤال كان يشغل باله و يسيطر علي تفكيره طوال الحفلة ، أجلسها
خالد بحذاءه على الأريكة و بدأ يملس على خصلات شعرها برفق .. ثم سألها شاردًا

• لماذا تزوجتني يا الهام ؟

نظرت له الهام باندھاش بعد أن تأكدت انه يتكلم بجدية ردت عليه بتردد ..

• لأننا متشابهان و متفاهمان ..

• كيف ذلك ؟ ..

فكرت قليلاً .. ثم قالت

• اشعر بذلك اننا نحاول جاهدين الهروب من اعين و نظرات من حولنا .. لقد تقدم بنا

العمر دون أن ننعم بحياة طبيعية .. تلك لم تكن غلطتنا نحن نستحق حياة أفضل

• اذا هل شعورك بالخوف كان دافعك للزواج ؟ ..

• في البداية نعم .. لكن بعد أن تقابلنا شعرت بترابط بيننا

• هل تؤمنين بذلك ؟ ..

• نعم .. ما المانع في ذلك ، انا اتوقع الأفضل

• احياناً نخدع أنفسنا لنصدق ما نريد أن نصدق .. لا يسعنا إلا الانتظار لندرك حقيقة

ايماننا

• لا تفقد الأمل في نفسك ..

اعتدل خالد من علي الأريكة ثم ضحك عالياً حتي تعجبت الهام ، ثم قال بسخرية

• الأمل ما هو إلا كذبة أخرى ...

قالها خالد ثم انسحب بهدوء الي غرفة النوم بعد أن أخبر الهام انه مرهق من أثر الحفل و يجب

أن ينام ، كوابيس البعض تكون مجرد احلام هائلة لأشخاص آخرين ، هكذا قالها خالد في سره

قبل أن يغط في نوم عميق لأول مره منذ أسابيع

بعد مرور عامين

١٣ يناير 2015 بعد زواج قد دام لسنتين أشعر انني اختنق داخل نفق ضيق من الأثام ، أراقب بخار فنجان القهوة المعد بعناية و اذفس مؤخرة سيجارتي بجانب كومة من الاعقاب الكريهة ، لم أعد أشعر بمرور الوقت ، و لا استطيع التمييز بين الايام ، لكم اتمني ان اخرج لاستنشاق بعض الهواء ، لكن الرياح قد وصلت اشدها في الخارج و الأعين تتفقد الارجاع ، لقد كانت فقط عامين لتزداد الأمور سوءاً مما كانت عليه ، لقد أصبحت انا و الهام كالغرباء في بيت واحد ، هي تقضي معظم الوقت أمام المرآة و تلعب بأدوات التجميل لساعات طويلة ، و أحيانا تملأ فراغها بمشاهدة التلفاز ، و انا علي الجانب الآخر اجلس وحيدا ، افكر لساعات طويلة حتي يكاد التفكير ينتزع عقلي من جذوره ، نحن نتناول الطعام علي مائدة واحدة دون أن ننيس بكلمة ، نتشارك فراش واحد دون أن ننظر في أوجه بعضنا البعض ، لقد كان كل شيء يسير علي هذا النحو حتي الايام القليلة الماضية ، أصبح الجحيم قريبا مني حتي وجدت بعض رسائل التهديدات تأتيني من ارقام غريبة علي هاتفي المحمول ، لم تكن هذه المشكلة ، عندما أخبرت الهام بذلك ، اشتد الحوار بيننا و افرغت عما تكنه برأسها ، أخبرتني بعلو صوتها ، إنني مختل عقليا ، استمع أصوات غير موجودة في الواقع ، اشك في كل من حولي و افتعل شجاراً مع أناساً غرباء ، لقد أخبرتني أن جميع المحيطين بنا يسخرون مني ، من أقارب و أصدقاء ، تقول انهم يستهزؤون بي ، و انني قد أصبحت مصدر احراج لها ، اشتدت أعصابي لوقع الكلمات علي اذني و غلي الدم بعروقي ، لكنها لم تتوقف ، قالت لي ان المكان المناسب لي هو مستشفى الأمراض العقلية لأنني أصبحت أشبه المهرجين الذين يتوافدون الي هناك ، لقد تمادت حقاً بهذا ، لم تسرها ردت فعلي علي ذلك ، ربما كانت صفقة واحدة كفيلة ان توقفها عن الكلام ، لكنها لم تكن كفيلة ان تهدأ الشعور بداخلي ، كنت كثور هائج داخل حلبة مصارعة رومانية ، لم اعد لرشدي حتي شاهدت الدماء تنزف من وجهها ، نظرت إلي الدماء تلطخ يداي المرتعشة ، حينها تذكرت والدي ، يعطيني بعض النصائح و الدروس عن آداب الطعام ، يخبرني ألا اتحدث عندما يوضع الطعام أمامي ، يشير بأصبعه في وجهي يقول لي بحده .. لا تكن وقحا كأملك ، لا أدري لما تذكرت ذلك حينها ، و لكن صوته كان مزعجا ، يتجلجل داخل رأسي ، وقتها نظرت الي الهام بخوف شعرت هي به ، ثم انصرفت عنها و تركتها وراء ظهري تبكي و تنهار بين دموعها حتي اختلطت الدموع السائلة علي خديها بالدماء ، لقد أصبحت الايام تمر بصعوبة و الصمت يسيطر على حياتنا ، انا فقط انتظر ان ينتهي اليوم ليبدأ يوم آخر ممائل ، أود أن أستريح ، أود أن اخرج من هذه الدائرة ، قبل بضعة أيام اقترحت علي نادية ان اصطحب الهام الي شقة الإسكندرية لقضاء عطلة ، انا لم ازر تلك الشقة منذ سنوات ، كنت قد اشتريتها منذ أيام خدمتي ، اقضي فيها معظم الأوقات لتهدئة أعصابي بعيدا عن الازدحام و الضوضاء ، اطل على الإسكندرية من حين الي اخر في ايام الشتاء ، كانت رؤية أمواج البحر كفيلة بأن تخرجني من ضغوطات العمل ، ربما هي فكرة جيدة أن اصالح الهام و اعتذر لها عما حدث ، ربما هو وقت مناسب لإراحة أعصابي و استجماع شتات تفكيري ... اسند خالد ظهره الي المقعد الخشبي و قرر إشعال سيجارة أخرى بعد تفكير عميق .

في صباح اليوم التالي قررت الهام ان تستجمع حوائجها ، جلبت حقائب السفر بعد الحاج من خالد ، و إقناع بأن فكرة السفر قد يكون علاج جيد لتحسين حالتهم المزاجية ، افرغت الهام محتوياتها في الحقيبة من ملابس و أدوات التجميل الخاصة بها ، امتلأت الحقائب بالكامل ، ثم حملها خالد و خرج من باب الشقة وقف عزت جاره القي عليه التحية بوجه بشوش .. صباح الخير يا خالد باشا.. ، ذهب خالد في طريقه حاملاً الحقائب دون أن يعيره اي اهتمام ، وقف الاخر ينظر إليه بذهول ، وصل خالد الي سيارته العتيقة ، حمل خالد الأمتعة داخل السيارة ، ثم

القي نظره مطوله علي العمارة و الحي ثم ركب السيارة و لحقت به الهام ترتدي نظارتها الشمسية ، أدار خالد سيارته في لحظات ثم قاد مسرعا ، بعد مرور بعض الوقت كان خالد قد وصل الي الطريق السريع ، يصب تركيزه الي العربات بجانبه ، ظلت الهام شريفة الذهن تنظر من نافذة السيارة غير مباليه ، تنحنح خالد ، ثم أخرج سيجارة دفينة من علبة السجائر ، اشعلها ثم وضعها بين شفتيه ، ثم قال بصوت مبحوح و هو ينظر إلي الطريق بدون مقدمات ..

• انا اسف .. لقد فقدت الشعور بنفسي

نظرت إليه الهام خلف نظارتها الشمسية دون أن تنبس بكلمه ثم عاودت النظر الي النافذة مجددا .. تجاوز الوقت في الطريق ثلاث ساعات تقريبا كان غروب الشمس قد وشك حتي وصل إلي الحي الذي يوجد به شقته في الإسكندرية ، ركن خالد السيارة علي حافة مدخل العمارة ثم خرج يمدد عضلات جسده و يخرج عدة تنهدات من أثر الطريق ، حك خالد يديه ببعضهما ، كان الصقيع يصل الي أطراف أصابعه ، أشار خالد الي الهام لكي تسبقه الي الدور الثاني و تقوم بفتح أنوار الشقة ، ثم أعطاها المفاتيح ، قام خالد بالنداء علي جابر حارس العقار ليساعده في حمل الحقائب ، قام بالنداء عدة مرات حتي استجاب جابر في النهاية ، اتى إليه مهرولا ، يقدم اعتذارات بلغته الغير مفهومه ، دقق جابر الحارس قليلا في وجه خالد ، ثم قال و هو يرسم ملامح البهجة علي وجهه

• خالد باشا .. عاش من شافك يا باشا

• كيف حالك يا جابر ؟ و كيف حال أولادك ؟

• بخير يا باشا ، ديما بندعيلك ..

رتم خالد علي كتفيه و أخبره أن يفرغ الحقائب من السيارة ، ثم وقف خالد بمحاذاة واضعا يديه في جيبه يتأمل الشارع و يستعيد الذكريات و الايام التي قضاها بالإسكندرية ، نظر شارداً علي الجانب الآخر من الطريق ، ثم لفت انتباهه أحد الأشخاص يبدو في منتصف الخمسينات من عمره يجلس علي اريكه بالشارع كان يرتدي بذلة سوداء تبدو قديمة و يزين رأسه بكاسكته سوداء و يحمل بين يديه بعض الكتب ، كأنه ينظر إلي خالد مباشرة بشيء آثار فيه الريبة ، نظر إليه خالد يتفحصه جيدا ، ثم أبتسم الرجل من بعيد ابتسامه مربيه ، ثم وجه إصبعه علي عينيه ثم اشار إلي خالد إشارة غريبه ، بمعنى انه يضع أعينه عليه ، لم يستطع خالد تفسير ما يحدث ، بعدها غادر الرجل المكان سريعا حتي اختفي بين ازقه الشوارع ، وقف خالد يراقب الأحداث دون أن يتحرك ساكنا ، كأنه تجمد بمكانه .

لقد اشتدت برودة الشتاء صقيعا ، و أصبحت أمواج البحر مرتفعة تصل الي أرصفة الشوارع ، و الغيوم تملأ سماء الإسكندرية ، وقف الصيادون ينتظرون قوت يومهم ، المراكب أغلقت الأشرعة نظرا لهبوب رياح قوية ، وقف خالد يتأمل الأمواج طول النهار ثم قرر أن يعود إلي المنزل بعد أن قضى طوال النهار امام أمواج البحر يدون يومياته ، يمر بين الطرقات حاملا بين يديه دفتر ملاحظاته العتيق ، استوقفه بعد أن عبر الطريق متجرا لبيع الأسلحة و أدوات الصيد ، وقف خالد امام فاترينة المتجر لدقائق طويلة ، يتأمل بعض المسدسات قليلا ، يجذبه بريقها اللامع و الرصاصات الصغيرة ، شعر بنشوة كبيرة ثم قرر دخول المتجر بالنهاية ، وقف أمامه البائع كان شاب في الثلاثينات من عمره ، سأله الشاب و هو يبتسم ..

- كيف اخذمك يا سيدي ؟
- سكت خالد لبرهة ، ثم نظر الي الفاترينه .. اريد ان أري ذلك المسدس الأسود

أحضره الشاب له ، أمسك خالد بالمسدس بين راحتيه قليلا ثم تردد قائلا

- انه ثقيل للغاية .. انا اريد شيئا خفيف كالريشة ..

ابتسم الشاب ثم قال له سوف إريك شيئا انا متأكد من انه سوف ينال إعجابك ، دخل الي باب خلفي دقائق ، ثم رجع مجددا و هو يحمل بين يديه مسدس ساقية فضي اللون يقوم بتلميعه جيدا ، ثم أعطاه الي خالد ، امسكه بين يديه يتأمله بانبهار ، ثم اقربه من عينيه و بدأ يفحصه بدقه ، ينظر بعين ثاقبة في الماسورة و الساقية ، تلعثم الشاب قليلا ثم قال ..

- اتعرف ماذا .. ؟ لقد كنت اراقبك
- نظر إليه خالد متفاجئا باندھاش ... تراقبني !؟
- نعم .. لقد كنت تأتي خلال الأيام الماضية تتأمل الأسلحة لبضعة دقائق ثم ترحل ..

امام خالد رأسه بالإيجاب دون أن يتكلم ثم قال له

- سوف آخذ ذلك المسدس ..
- سأله الشاب بفضول .. انت تبدو لي كرجل محترف مع الأسلحة ، لأي غرض تريد ذلك المسدس ؟
- تنهد خالد بضيق ثم قال له .. لقد كنت ضابط شرطة يوما ما .. انا الان متقاعد ، و اريد ذلك المسدس للحماية ، هل هذا واضح كفاية بالنسبة لك ؟
- انه واضح كفاية بالنسبة لي ..

خرج خالد من المتجر يحمل في جيبه المسدس الفضي و علبة من الطلقات بعد أن دفع ثمنه و قام بإمضاء وثيقة ترخيص للسلاح ، ذهب في طريقه الي المنزل يتحسس المسدس في جيبه و ينظر إلي اعين الجميع حوله ينظرون له باندھاش، لكم أراد أن يخرج المسدس و يفجر به رأس من ينظر إليه باستعجاب ، وصل خالد الي العمارة ، ثم صعد الي الشقة في الدور الثالث ، لم تكن تبعد الكثير عن رصيف الشاطئ و الممشى ، كانت شبه منطقة سكنية لكنها مهجورة نوعا ما و يوجد ناصية شارع سريع في الجهة المقابلة للعمارة ، فتح خالد الباب بعدما قام بمسح حذائه في مشاية الاقدام لما يحمله من أوساخ ، انقضت عليه الهام تحمل في أعينها دموع انهالت عليه قائلة

- اين كنت ؟
 - لقد كنت استنشق بعض الهواء ..
 - تخرج كل يوما في الصباح و تعود عند غروب الشمس، و تتركني في البيت ، انا لم أعد اتحمل هذا الوضع .. أهذا ما تريده أنت ؟ ماذا تفعل في الخارج بحق الجحيم ؟ هل ما زلت تبحث في تخاريفك ؟
 - لن تدركي ذلك ابدا ..
 - اقنعني بذلك ايها المريض .. انها مجرد أفكار في رأسك ..
- قذف خالد الدفتر الخاص به علي الارض ، اقترب عدة خطوات من الهام و بلهجة شديدة القوة قال ..

- أخبريني هل عانيتي في حياتك اللعينة من قبل .. ؟
- تراجعت الهام للخلف بخوف شديد بينما يقترب منها خالد ثم تابع ..
- انا قد عانيت من قبل ، لقد لفقت بعض التهم لأناساً ابرياء ، لقد جعلت أطفال لم يتجاوزوا سن الرشد ايتام بدم بارد ، ربما لم اضغط علي الزناد لكنني أوصلت رجالا كثيرون الي الموت لمجرد فكره يمكن أن تكون غير صحيحة ، لقد رأيت الوجه الحقيقي لأولئك البشر ، انا اعرف كيف يفكرون و ماذا يريدون ، و صدقيني " يمكن لمجرد فكره ان تكون قاتلة أكثر من رصاصة مسدس "
- نظرت الهام الي عينيهِ الملتهبة ووجهه دبب به العروق حتي كادت تنفجر رفعت يديها تحمي نفسها بخوف ، ثم قالت و هي ترتعش ...
- لقد بدأت تخيفني ..
- تمالك خالد نفسه فائلاً ..

- انني احارب اناساً لا يعرفون الرحمة .. يتلاعبون بمشاعري و يقتلونني ببطية
- أدار خالد ظهره لها و بدأ يتنفس بتروي لدقائق حتي رن الهاتف ، ذهب خالد مسرعاً لالتقاط الهاتف .. نادية ، استجمع شتات نفسه ثم أجاب عليها ، كانت تبكي بحرارة ، أجاب خالد بقلق ..

- ماذا حدث ؟ لماذا تبكين ؟
 - خالد ... اخوتك سوف يقتلون بعضهم
 - ما الأمر ؟ ...
 - يجب أن تأتي علي الفور يا خالد ..
 - حسنا ، سوف اتي الليلة لا تقلقي ..
- انهى خالد المكالمة محملاً بالقلق على وجهه ، سأله الهام بفضول ..

- ماذا حدث ؟ ...
 - سوف اعود الي القاهرة الليلة .. أشار إليها .. و انت سوف تبقيين هنا
- دخل خالد الغرفة ليخبأ المسدس الذي اشتراه و يجهز نفسه إلى السفر

دخل خالد باتجاه الطاولة اللتي يجلس بها احمد داخل المقهى ، يدخل سيجارة بشراهة غير معتادة و تظهر ملامح وجهه الإرهاق و التوتر ، جلس بعد أن القى التحية لكنه لم يبد مبالياً ، حملق خالد به متأملاً بغرابة ثم سأله

• هل انت بخير ؟

قذف احمد السيجارة من الشباك المواري له داخل المقهى لتسكن بجانب الاعقاب الأخرى المقدوفة ، ثم بصوت متهدج غلبه الانكسار ..

• هل أبدو بخير ؟!

صمت خالد لبرهة لا يعرف كيف يبدأ الحديث .. ثم شرع قائلاً

• لقد تحدثت مع اخوتك قبل أن آتي إلى هنا ، لقد شرحت لي بالتفصيل ، انهم ينتظروني ان أفتعك و أعيدك لرشدك ..

تنهد احمد غير مبالياً مما أثار خالد ثم قال ..

• اريد ان أستمع منك ما حدث من جانبهم ..

قالها خالد و هو ينظر مباشرة إلى اعينه ، أشعل احمد سيجارة ثم وضعها بين شفتيه المرتعشتين .. شرد للحظات كأنه يستعيد تفاصيل ما حدث ، ثم قال بنبرة مرتجفة غلب عليها الغضب ..

• لقد قام مصطفى باستئجار بعض الحثالة لقد قاموا بتحطيم النادي الليلي و امسكوا بسارة و قاموا بترويعها ، قالوا لها انهم سوف يقومون باغتصابها ان لم تبتعد عن طريقي ، لم يكتفوا بذلك لقد قاموا بضربها حتي استنزفت بعض الدماء تأكيداً منهم علي جدية الامر ، شد احمد قبضته بغل ... انا لن اتخطى ذلك .. و لن اتخلى عنها مهما كلف الأمر

صمت احمد قليلاً ثم تابع ..

• بعد ذلك احضرني مصطفى إلى منزله .. يخبرني انه لو وصل به الأمر ان يفعل بي المثل سوف يفعل ذلك ، و يجلس بجانبه الحقير منير الحداد يرمقني بابتسامة سخرية.. اقسم انني سوف اهشم عظام وجهه في المرة المقبلة

جلس خالد يستمع بعنايه ثم قال ..

- سارة .. تلك هي الفتاة اللتي تريد الزواج منها ؟ .. أخبرني لماذا بحق الجحيم انت متمسك بها إلى هذه الدرجة ؟

نظر إليه احمد ، اغرورقت عيناه حتي كادت تسيل الدموع منها ، ثم قال له ..

- اخي ... كيف تراني ؟ هل تراني مدلل و مفعم بالحيوية ، افعل ما يحلو لي ، هل تظن أن حياتي سعيدة ؟ ، انا لا اشعر بالحرية و السعادة كما تعتقد ، انا فقط اتظاهر بذلك ، كحالكم جميعاً ، منذ أن كنت صغيراً شعرت بالتمييز في معاملة الجميع لي ، لقد تساءلت الست طبيعياً مثل باقي الأطفال ؟ ، لماذا يتظاهر الجميع بأنهم أشخاصاً جيدين ، لفترة طويلة من الوقت ، ونحن نجلس علي طاولة واحدة نتظاهر اننا نريد ذلك ، ان هذه حقيقتنا اننا اخوه ، نحن ندرك أن تلك ليست طبيعتنا نحن لا نحب بعضنا البعض ، كل شخص له حياته الخاصه بعيداً عن الآخر ، نحن نبغض بعضنا ، لقد جلست مع أشخاص اقل شأناً و أكثر دناءة ، حثالة كما تقولون ، لكنني شعرت بالأمان و انا أتناول طعامي معهم ، عندها أدركت الحقيقة ، و انا اخبرك بذلك انني لن اتظاهر بعد الآن ، سوف أفعل ما يحلو لي ، سوف اتزوجها ، لقد احببتها

نظر خالد إليه بأسى ثم رتم على كتفه برفق و قال

- تأكد أنني لن ارغمك على شيئاً ..
- ماذا عنهم ؟ ..
- لا تقلق سوف اذهب لأتحدث مع مصطفى سوف أقنعه بالعدول عن قراره ...

قاد خالد سيارته كالمتهور ، يملئه شعور بالإثارة و الحيوية ، تدور في رأسه مزيج من أصوات قرع طبول صاخبة و بعض الأفكار الشيطانية حتى وصل إلى منزل مصطفى ، هبط من السيارة ثم دخل مسرعاً ، رن الجرس بحدة ، حتى فتحت له الخادمة ، دخل خالد مندفعاً دون أن يمسخ قدميه من الاوساخ وقف امام الجميع في الصالون ، دون إلقاء التحية ، كانت تجلس نادية و مصطفى و زوجته بجانبهم منير الحداد ، اشار خالد الى مصطفى و هو يرمقه بحدة ..

- اريد ان اتحدث معك على انفراد ..

وقف الجميع يتأمله بذهول مما بعث الريبة و الارتباك في نفوسهم و لكنهم لم يشغلوا بالتساؤلات ، اصطحبه مصطفى إلى غرفة مكتبه و قام بإغلاق الباب خلفه ثم جلس بالجهة المقابلة للمكتب ، سأله و هو يشعر بالحيرة ..

• ما الذي حدث ؟ هل استجاب لك ؟ ..

قام خالد بإشعال سيجارة .. ثم تمهل قليلا ، بدأ يدخنها بتلذذ و ينفخ الدخان في الأرجاء ، بعد ان فقد مصطفى صبره و بدأ يشعر بالارتباك شرع خالد بالتحدث قائلاً بثقة ..

• سوف يتزوج احمد تلك الفتاه ... و انت سوف توافق على ذلك

تفهقه مصطفى بسخرية ثم أسند ظهره إلى المقعد ..

• لقد كان من الخطأ أن أطلب منك المساعدة في البداية .. انت لست إلا مختل عقلياً ..

• كن حذراً في اختيار كلماتك ، ربما تكون الأخيرة ..

نظر مصطفى إلى الجدية التي تحملها عين خالد و ارتعد من الثقة الناشئة من خلال نبرة صوته ، قال في نفسه لقد أصبح مريض بالفعل ، ثم اشتدت حدته و قال ...

• هل تقوم بتهديدي .. ؟

• ليس بعد .. لكن انا انوي ذلك

اشتد غضب مصطفى اكثر و بدأ يفقد اعصابه ، ثم قال ..

• هل تعرف ماذا يمكنني أن أفعل ؟

صرخ خالد عاليا ثم قال بلهجة شديدة

• لا يمكنك أن تفعل اي شيء ، انت ضعيف و تفتقر للثقة ، استطيع ان ارى ذلك من

خلال عينيك ، انا أسبقك بعدة خطوات ، استطيع ان اعرف أسرارك و خباياك ،

استطيع ان اعرف فيما تفكر دون أن تتكلم ، انت لست الرجل الذي انت عليه

• ما الذي تهذي به ، لقد فقدت عقلك ، انا انصحك ان تزور بعض اطباء الأمراض

النفسية و العقلية ..

انفجر خالد بالضحك بطريقة هستيرية مما أثار الرعب و تملك مصطفى ، حاول أن يبحث عن أداة صلبة داخل للمكتب للانقضاض عليه في الفرصة المناسبة ، و لكن كان قد هدا خالد ثم قال بلهجة ثقة تغلب عليها السخرية ..

• سوف أثبت لك انك تفتقر للثقة ..

جلس مصطفى يستمع بعناية لكلمات خالد الذي قد ملأت النشوة عيناه ، ثم تابع الأخير ..

• قبل أن أترك الخدمة بعدة شهور ، كانت تسيطر علي بعض الهواجس و يملئني

الفضول ، و انت كنت ضمن أحد الشخصيات التي تنثير اهتمامي ، عندها ظلت ابحت

و ابحت حتى وجدت الإجابات التي كانت تشغل عقلي ...

بدأ يتصبب العرق و يزيد التوتر ، أبتلع مصطفى ريقه بصعوبة ، شعر ان امعائه تتقلص و تخنقه أثر كلمات خالد .. تابع خالد ..

● لقد ظللت أراقبك حتى تمكنت من التسجيل لك بالصوت و الصورة العديد من الفيديوهات الجنسية مع بعض السيدات سيئات السمعة و انت تبحث عن بعض ملذاتك نظر إليه مصطفى بذهول ثم تابع خالد...

● صدقني عندما يتعلق الأمر بتعويض النقصان يؤل إلى ما هو اسوأ ، مزيج من الرغبة و الإثارة و الضعف ، حينها تظهر أسوء ما بداخلك و تكشف عن وجهك الحقيقي ... لقد كنت في حاجة لدليل لأثبت وجهة نظري و الآن كل شيء محفوظ في ملفات ، و إذا كنت تحتاج نصيحتي فإن أسوء شيء " عندما تخلق الكذبة و تصدقها "

دفس خالد عقب السجارة في المكتب ثم سأله بتروي ..

● اذا أخبرني .. هل لازلت تمتثل الأخلاق و الفضيلة ؟ هل لازلت ترى نفسك رجل نبيل و مثالي ؟ هل تنتظر في المرأة و تواجه نفسك بحقيقتك ؟ أم انك فقط تكذب على نفسك ...

جلس مصطفى شاردا بين التساؤلات ، عاجزا النطق ، و عاجزا عن الحراك .. ثم قال خالد

● يبدو لي انك لن تجيب الآن ، سوف اتركك تعيد حساباتك ، و تفكر ماذا سوف يحدث إذا انتشرت هذه الفيديوهات مع مكانتك الاجتماعية و السياسية في الدولة ، لن يخفى شيئاً عن الصحافة .. ، فكر في صورتك امام زوجتك .. ، فكر في صورتك أمام أبنائك ...

قالها خالد ثم رحل في صمت تاركاً اخيه خلفه حائرا و مسولاً بالشكوك و المخاوف ...

خرج خالد من غرفة المكتب ثم سأله ناديه ..

● لماذا كان صوتكم مرتفع ؟ فيما كنتم تتنازعون ؟

● سوف يتزوج احمد تلك الفتاة

قالها خالد ثم انتفض منير بغضب قائلاً ..

● هل سوف يملئ ذلك الفتى كلامه علينا ؟

● نظر له خالد قائلاً بسخرية .. ذلك الفتى توعد انه سوف يهشم وجهك عندما يراه مجدداً

نظرت له ناديه بأسف قائله ..

● ألم تستطع أن تقنعه بالعدول عن رأيه ؟

● تنهد خالد ثم نظر إلى ناديه قائلاً .. أحمد سوف يفعل ما عجزنا نحن عن فعله سوف يختار طريقه و هذا ما يجب أن يحدث ..

الحياه عبارته عن رحله داخل ممر مظلم ، جميعنا نعبر ذلك الممر سعياً خلف ضوء خافت ، ربما يأتيك ذلك الضوء الذي تبحث عنه و لكنك سوف تدرك في النهاية انها فقط اشارة نهاية الممر ... وقف خالد بين الحضور يتأمل احمد من بعيد ، يحمل تلك النظرة اللامعة في عينيه بدى سعيدا للغاية ، لقد حقق مراده ، اتفق هو و زوجته ان يقيمان حفلا صغيرا في دار مناسبات و بعدها مباشرة يسافرون لقضاء اجازة ، رغم المشاكل اللتي كانت تواجه خالد إلا أن سعادة احمد قد لامسته ، لقد ساهم في تحقيق هدفه ، و أدرك كلماته و لكن الخطر كان يحيط به في كل زاوية و كل مكان و ذلك ما بدد سعادته و انتزع من روحه الطمأنينة ، وقف خالد يتأمل أوجه المعازيم ، يبحث عن اي شيء خارج عن المألوف ، لقد كان عدد الحاضرين قليلا بالنسبة لأصدقاء احمد لم يكن من بينهم أشخاصاً غرباء ، لكن لم تهدأ نيران القلق داخل خالد بعد ، ذهب باتجاه قاعة الطعام ، ينظر في أوجه الطهارة ثم يتشمم رائحة الطعام ، بدأ القلق يسيطر عليه حتى بات ملحوظاً وسط الحضور ، أراد خالد حينها أن يبتعد قليلا عن صخب الحفلة حتى ارتطم بنادية ، نظرت له باندهاش ..

- خالد هل انت بخير ؟
 - نعم ، فقط انزعجت من الضوضاء ..
 - هل رأيت ذلك ؟ قرر مصطفى عدم الحضور هو و أسرته
 - انا لا اشغل بالي .. ليفعل ما يحلو له
 - ربما قد أخذت صف مصطفى في البداية لكن بعد أن رأيت السعادة في وجه احمد أدركت أنني كنت مخطئه ، لم أره هكذا منذ فتره
 - هو يستحق ذلك ..
 - و الفتاة ايضا تبدو لي طيبة القلب
 - المهم ان ذلك هو اختياره
- كانت إلهام تجلس وسط المعازيم تتأمل خالد و نادية من بعيد ، نظرت نادية لها ثم تابعت مشيرة إليها ..

- هل ما زالت النزاعات تدور بينكم ؟
- نظر خالد لها بحدة ثم سألها .. هل مازالت تشكو لكي ؟
- ارتبكت ناديه ثم قالت .. لا على الإطلاق ، لكن فريدة تحدثت معي في ذلك الشأن
- في المرة المقبلة أخبريها ان لا تدخل في حياة اختها هي لم تعد طفلة لتتحدث نيابة عنها

..

ساد الصمت بينهم عندها و اكتملت أجواء الفرح و الرقص حتى انتهى الحفل و غادر المعازيم ، ثم قامت الهام و نادية بتهنئة العروس ، وقف خالد مع احمد يتبادلون الحديث ..

- اذا .. هل قررت اين سوف تقضي شهر عسلك ؟
- بعيد .. بعيد عن هنا .
- سوف اشتاق الي جلستنا و حديثنا في المقهى
- قال احمد ساخراً .. لم اعهدك بتلك المشاعر .. في العموم سوف نلتقي عما قريب
- اتصل بي عندما تصل ..

قام احمد و خالد بالعناق لفترة طويلة ، بعدها قام بتوديعه اخيراً ثم ركب السيارة هو و سارة ، قاد احمد ثم نظر الي إخوته نظرة اخيرة في المرآة يتلاشون شيئاً فشيئاً ، قاد السيارة سريعاً حتى وصل إلى الطريق العمومي ، التفت احمد الي سارة ثم قال لها مداعباً .

- أتعلمين ؟ لا أصدق اننا تزوجنا حتى الآن
- ردت سارة ساخرة ، ربما لأنك ما زلت مخموراً و تفوح منك رائحة الكحول
- انا لست سكراناً ، الليلة لم تبدأ بعد
- اذا الي اين سوف تأخذني ؟
- سوف آخذك بعيداً عن النفاق و الكذب و القمع
- اذا سوف تأخذني إلى الجنة ؟

ابتسم احمد و استمر بالقيادة وصولاً بالطريق السريع ، اعتذلت سارة ثم سألته بجدية ..

- هل حقاً تحبني ؟

نظر إليها احمد بعينان لامعه قائلاً ..

- انا اعشقتك بكل لحظة انظر بها إلى عينيك بدءاً من هذه اللحظة حتى آخر ال

أضاء وجه احمد الحالم و تبدلت ملامح سارة الرقيقة ، ارتفعت صافرات الإنذار و تبددت نظرت الحب على وجه احمد إلى نظرة خوف و ذعر ، نظر إلى شاحنة عملاقه مواجهه له مباشرة ، الوقت ضيق للغاية لا يستطيع أن يغير مساره يمينا او يسارا .. إنها النهاية ، آخر شيئاً يشاهده احمد صورة لوجه سارة و هي تصرخ مذعورة ، صوت ارتطام السيارة و تحطم الزجاج ، ارتفعت العجلات عن الطريق ثم التفت السيارة في الهواء مرتين ، ثم انتهت على الأرض قطعه معدنية مهشمة قد تغيرت ملامحها كلياً ، نزل سائق الشاحنة العملاقه يترنح و ينزف بعض الدماء من رأسه حتى وصل إلى السيارة المهشمة املاً في إيجاد روحاً ما زالت تتنفس ، لكنه لم يجد إلا جثتين قد انتهت رحلتهم قبل أن تبدأ

السابعة صباحاً ، شقة خالد القديمة في القاهرة ، لم يتوقف الهاتف عن الضجيج ، استفاق خالد و الهام بفزع شديد ، سارع خالد بالإجابة على الهاتف ، أخذ يضع لحظات يستعيد وظائف عقله أثر النوم .. كانت أصوات النحيب و الصراخ تطغي على الكلمات ، بدت على ملامحه القلق ، وقف يستفسر قائلاً .. لا أستطيع أفهم شيئاً من بكائك ، سألته الهام بقلق .. ما الذي حدث ؟ ، وقف خالد صامتاً للحظات ثم تجمدت نظرتة طويلاً ، كاد أشبه بتمثال خشبي عاجزاً عن الحراك ، انتفضت نيران القلق في الهام ثم صرخت .. ما الذي حدث ؟ ، أغلق خالد الهاتف ، ثم جلس على المقعد ببطيء و وضع كفيه على وجهه ، ازدادت الهام حيرة أكثر فأكثر ، ثم سألته مرة اخيرة .. ماذا حدث ؟ ، نظر خالد إليها و قال بصوت متهدج ..

- انهم يرسلون الي رسالة ..

- ماذا تقول بحق الجحيم ؟
- لم اكن أدرك ان الامور سوف تصل إلى ذلك الحد
- ... هل حدث مكروه ؟
- احمد .. لقد قاموا بقتله ..
- ماذا تقول..؟!
- لقد قتلوه انتقاما مني ..

ارتمت إلهام على المقعد غارقة بين دموعها لبعض الوقت ، ثم وقف خالد بلا مبالاة و قال في هدوء مثير ..

- سوف اذهب لتغيير ملابسني

ذهب خالد في طريقه سريعاً حتى وصل إلى منزل مصطفى دخل إلى الفيلا كانت نادبة تنهار في دموعها و مصطفى يضع يديه على رأسه ولا يتحدث ، جلس خالد بجانبه ثم اشعل سيجارة .. و قال

- ما هي الإجراءات اللازمة الآن ؟
- نظر إليه مصطفى ثم قال بصوت متهدج ..
- سوف نقوم بدفن جثته في مدافن العائلة ، اما بالنسبة إلى الفتاه فأنا غير مسئولاً عنها ..
- اخذ خالد نفساً عميقاً من سيجارته ثم قال ..
- نعم نعم أفعل ما شئت ..

مدافن الحداد .. تم اعداد مراسم الجنازة بحضور بضع شخصيات هامة من بينهم بعض رجال الأعمال و السياسة من أصحاب النفوذ و ما تبقى من عائلة الحداد و عائلة سراج و بعض الاصدقاء ، كانت العائلة مازالت تحافظ على رونقها و مكانتها رغم كل شيء ، دخل خالد متقدماً إخوته الى المدفن بينما يقوم التربي بفتح المدافن و الشروع بمراسم الدفن ، نظر خالد إلى مقابر عائلته متأملاً بين الأسماء و الذكريات ، لقد جاءوا إلى هذه الحياة هباءً و رحلوا هباءً تاركين أسماءهم خلفهم ، وقعت عين خالد على اسم .. مدفن المغفور له فؤاد صالح الحداد ،

اختلت ذكرياته لحظات ثم سأل نفسه ، ما الذي اعرفه عن والدي ؟ ، طفل فقير نشأ وسط عائلة فقيرة ، يستفيق كل صباح يذهب لمساعدة والده في ورشة حداده في احد المساكن الشعبية ، لقد عانى خلال طفولته لكنه لم يبأس لم يرضخ للإهانة و قسوة الحياة ، كان يرى ذل الفقر و القمع من خلال معاملة الناس لأبيه ، المال يشتري الانفس و النجاح يصنع الكبرياء ، لقد بدأ من لا شيء و طور ورشة الحدادة ، لقد تحمل الذل و المعاناة لوقت طويل ، يدخر الأموال ، يحرم نفسه من الطعام ليلاً ، يقترض من بعض الحثالة ، حتى بدأ بناء مصنع لصناعة الحديد و الصلب ، لقد أنقذ العائلة من الفقر و جعل لأسم الحداد مكانة مرموقة ، هكذا يتذكره الجميع رجل عصامي كافح من أجل عائلته ، و هذا ما عرفه خالد و إخوته عن ماضي والدهم من حكايات والدتهم و أصدقائه المقربون ، لكن في عدا ذلك لم يكن يتحدث فؤاد الحداد ابداً عن ماضيه ، كان دائماً قليل الكلام و كثير الشك ، كما تظهر عليه بعض المخاوف كأنه يخبأ شيئاً ما و خصوصاً في ايامه الاخيرة ، و في النهاية رحل دون ان ينبس بشيئاً عن ماضيه او أسراره او مخاوفه ، كان حينها يجلس خالد في مكتبه حتى استدعاه رئيسه و أخبره بينما تظهر عليه ملامح الحزن .. خالد انت من أكفأ رجالي دائماً ما كنت و دائماً ما سوف تكون ، لم اكن اعتبرك ابداً أحد موظفين بل كانت معاملتي لك كأحد أبنائي .. حينها نظر خالد إليه و تملكه القلق ، تابع الرجل بنبرة حزن .. يؤسفني ان ابلغك انه منذ ساعة تقريباً توفى والدك .. وقف خالد مذهولاً و بدأت اعصابه بالاختلال ثم ارتدى على مقعد و اجهش ببكاء عميق ، اقترب الرجل منه ثم رتم على كتفه بأسى و قال .. يمكنك الذهاب سوف اقوم بترتيبات و بعدها التحق بك ، ذهب خالد في طريقه كان منهاراً و يسيطر عليه حزناً شديداً حتى وصل إلى المنزل ، تفاجئ الجميع لرؤيته في هذه الحالة ، لم يأبه خالد إليهم ثم اندفع باتجاه غرفة والده بقوة بعدما حاول بعض من إخوته منعه و تهدأته حتى أخبرهم انه فقط يريد أن يتأكد بعينه ... و هكذا مرت وفاة فؤاد الحداد و لم يتبقى من ارثه الا بيت كبير و مصنع شبه مفلس و اسم ذي سمعه كبيرة ، كانت وصية فؤاد الأخيرة لأبنائه ان يظلوا معاً لا تفرقهم الحياة و انه لن يشعر بالراحة خلال مماته إلا و هو يراهم يتناولون العشاء على طاولة واحدة مثل أسرة ...

استفاق خالد من شروده ، ثم نظر إلى قبر أخيه بعد أن انتهى التربي من إغلاقه ، بعدها خرجوا جميعاً من المدفن ، قام خالد بتوديع إخوته ، سأله ناديه ..

- إلى أين سوف تذهب ؟
- سوف أعود إلى الإسكندرية .. لم يعد يربطني بالقاهرة شيئاً
- ابق هنا لا تغادر .. قالتها ناديه متوسله
- لقد اعتدت على المكان هناك أشعر بالراحة ، سوف آخذ الهام و اسافر اليوم

تقدم مصطفى بمواجهة خالد ثم قال بنبرة حادة ..

- اظن ان ذلك أفضل للجميع ..
- هذا ما اعتقده ..

قالها خالد ثم حملق في مدفن والده لمره اخيره ، ثم قال ..

- فقط اريد صورة والدي المعلقة على الحائط بمنزلك

لم يمانع مصطفى بطلبه الاخير رغم عدم اقتناعه ، بعدها قاموا بتوديع خالد بعدم النية في لقاء آخر ، ثم أخذ الهام و قاد سيارته بعيداً ..

٢٧ مارس ٢٠١٧ أول شعاع للشمس بعد ظلمات غابرة خلال الأيام القليلة الماضية وقف خالد شبه عارياً يشاهد شروق الشمس ، يلفحه بعض هواء الشتاء البارد ، رغم شعوره بتحطم قفصه الصدري و تقلص عظامه إلا أنه كان سعيد و ينتشي بعظمة الهواء يفرد زراعيه بالعرض كأنه يحتوي أمواج البحر ، اختل توازنه قليلاً ثم قام احدهم بسحبه بقوة ، تحدث معه بحده ..

• يا هذا الرياح شديدة .. ربما تنزلق إلى المياه ..

تركه خالد بلا مبالاة ثم ذهب في حال سبيله يتجول في شوارع الإسكندرية لبعض الوقت ، بعدها جلس على اريكه خشبيه في الشارع بعدما ارهق من كثرة التجوال ، بدأ يدون ملاحظاته في دفتره العتيق .. لقد اصبحت كثرة تأملاتي و انفتاح عقلي في الايام الماضية يوصلني إلى حقائق لم اكن اراها ، في الماضي كنت أشعر بالضيق لكوني وحيداً ، ليس لي اصدقاء ، علاقاتي محدودة و منغلقة على ذاتي ، وقتي كان مسخراً للعمل ، بمجرد أن افقد شيئاً أدرك قيمته ، لقد أنشأت سجناً من الأوهام ، اما الان بعد ان تحول الوضع أدركت تماماً أنه كلما اتسع السجن كلما كان خانقاً ، لأن السجن بلا قضبان و بلا حواف .. السجن الحقيقي داخل عقولنا ، أدركت ذلك .. ان اكون وحيداً مع نفسي أفضل من أن اكون وحيداً وسط الناس ، لقد كنت في احتياج شديد لاستنشاق بعض الهواء ، كدت اختنق داخل المنزل و أصبحت الذكريات تؤثر علي ، كأنني أشاهد حدث قد مر منذ سنوات يتكرر مجدداً ، و بعض الأصوات أصبحت عالقة داخل عقلي ، انا مرهق من كثرة التفكير و لم يتوقف الأوغاد عن ملاحقتي لكنني لن استسلم ، لن اياأس ، موتي سوف يكون انتصارهم .

قرر خالد ان يعود إلى المنزل بعد أن اشتد الصقيع عليه و هو لا يرتدي ثياباً ثقيلة ، وصل إلى الحي حيث شقته ، يزداد المكان فراغا يوماً بعد يوم ، لقد أصبح الحي مظلماً بعدما غادر الكثير من السكان تاركين شققهم ، ترى ما السبب ، يقولون ان الفئران استعمرت الشقق و التلوث يملئ ارجاء الحي، لم يكن خالد يهتم كثيراً لم تصل الفئران إلى شقته بعد ، و لكن رائحة القاذورات الكريهة كانت تملأ الأرجاء و انقطع عمال النظافة عن الحي لعدم وجود عمالة كافية ، مر خالد بجوار القمامة و هو يتأفف ضيقاً بينما تلتف حولها كلاب الشارع الضالة ، صعد خالد ادراج السلم حتى وصل إلى شقته ، فتح الباب ببطيء ، كانت تجلس الهام على مقعد مصدرة ظهرها له ، بمجرد أن سمعت صوت انين باب الشقة سألته بنبرة بكاء دون أن تنظر له ..

• اين كنت .. ؟

وقف خالد يتأملها بتوجس لعدة لحظات ، ثم قال ..

- لقد كنت في الخارج استنشيق بعض الهواء..
 - لم تأتِ إلى المنزل طوال أربعة أيام .. اين كنت بحق الجحيم ..
- تنهدت لحظات كأنها تبكي او تتنحج ، ثم استدارت بينما تتابع الحديث قائلة ..
- انا لست سجينتك ..
- استدارت الهام و نظرت إلي خالد ، ثم نظر هو يتأمل وجهها في فزع شديد ، كان يملأه المكياج المشوه مختلطاً بدموعها المنهمرة ، جسدها ملطخ بالألوان و ملابسها مهشمه بالإضافة إلى خصلات شعرها المتشابكة ، مما أعطاهم اطلاله مفزعه ، اشمئز خالد لرؤيتها ثم سألها ..
- ماذا فعلت بوجهك .. ؟
- لم تكثرث الهام لسؤاله ، اشهرت بين يديها مسدساً فضي اللون ، ثم قذفته على الأرض باتجاهه ثم قالت ..
- لقد كنت أفتش بين ادراجك حتى وجدته .. هل سوف تقتلني او تقتل نفسك ؟ .. سألته بسخرية
- وقف خالد ينظر إليها بغضب ثم قال..
- ربما .. ربما قد فقدتي صوابك .. إن الحياة أصبحت كريهة في الخارج ، ربما ذلك هو الحل الأمثل
 - و لم لا افقده ، انظر إلى الحياة اللتي نعيشها
 - اهدأي ، و اغلقي فمك اا قالها خالد مشيراً إليها بينما يرتجف
 - .. انظر إلى حوائط الشقة تزينها ملاحظاتك ، امعن نظرك جيداً في كل زاوية ، في كل ركن من أركان الشقة ، انظر إلى خطاياك
- وقف خالد عاجزاً عن النطق ، بدأ يتراجع و ينظر إلى الحوائط بعد أن اغرورقت عيناه .. ثم تابعت الهام بينما تصرخ ..
- أخبرني ما معنى تلك الكلمات ... ؟ " انا أقف على الهاوية ، اشعر بوجود الشيطان حولي ، لقد تحولت كوابيسي الى واقع ، انا انتظرك لا تتأخر ، لا يوجد اصدقاء "
 - ما معنى ذلك ؟
- وقف محاطاً بين الجمل و العبارات المكتوبة على الحائط ، و يحاول التقاط انفاسه بصعوبة ، يعتمر قلبه و قفصه الصدري ، كان يشعر بالاختناق ..
- اصمتي ...
- نظرت إليه الهام باشمئزاز ثم قالت ..
- لا اريد ان اكمل حياتي معك ...
- نظر إليها خالد بغضب و هو يحاول التقاط انفاسه ثم قال بحدة ..
- اذا ارحلي ، انت لم تريدي ذلك منذ البداية ، ربما فقط اردت ان تتلاعبين بي ، يبدو لي انك تتعاونين معهم ..

- لقد وصلت لمرحلة ميؤوس منها ..
- كل محاولاتيكم بلا جدوى ..
- انا اشعر بالشفقة عليك
- حقا ؟ .. تعملين لصالحهم أليس كذلك ؟ لقد كان كل شيئاً مدبر منذ البداية... ارحلي بعيدا عني ... ارحلي ...

جثى خالد بركبتيه على الأرض بانهييار يحاول تمالك نفسه و تنظيم ضربات قلبه ، بينما تراقبه إلهام بشفقة مصحوبة ببعض الاستحقار ، لكنها لم تكثرث لمشاعرها المتناقضة ، لقد عازمت على أمرها بالفعل ، تركته ورائها و اتجهت في حال سبيلها ...

أخبرني يا أبي ، كيف هو الوضع عندك ؟ ، هل تتألم ام انك تعيش في نعيم ؟ ، هل تشعر بالوحدة و الظلام ؟ أم انك تراقبنا في صمت .. هل تريد أن تعرف كيف وضعي انا ؟ ... لقد ازداد عدد الفئران بغزارة حتى أصبحت تملأ الشقة ، لم اتمكن من معرفة مصدرها بعد ، لكن بعض المصائد الخشبية تكفلت بالأمر ، لا يمر وقت كبير حتى يقع فأر تلو الآخر داخل المصيدة ، بعدها احمل المصيدة معي إلى الخارج و اترك الفأر الصغير فريسه لكلاّب الشارع الجائعة ، اشاهد الكلاّب تنهش جلد الفأر بشراهة و استمتع إلى صراخه بينما يتمزق جلده كثيف الشعر إلى أشلاء ، بعدها تتقاسم الكلاّب ما تبقى منه ، يكون عندها قد انتهى العرض بالكامل ، لقد مر اسبوعين و انا على ذلك الحال بعد أن غادرت الهام البيت تاركة ملابسها و أدوات تجميلها الثمينة ، لقد غادرت دون كلمة وداع ، لقد نالت مرادها و لم يكفها ان تنبس بحرف ، بعدها لم يتوقف الهاتف عن الرنين حتى حطمته إلى قطع صغيرة ، لقد قررت أن أبقى وحدي و تصالحت مع ذلك ، الحياة قاسية بطبعها ، لا يمكنني ان اثق بأحد بعد الآن ... امسك خالد ببرواز عريض يحمل صورة والده ، ثم بدأ يحدثه بأسى قائلاً .. انا لا اخاف الظلام أو الوحدة يا أبي ، لقد اعتدت على ذلك منذ زمنأ بعيد ، لذلك قد قررت أن اقتطع علاقتي بأي شيء له علاقة بي ، لقد قررت ان أركز بهدي و امحي ذكرى خالد الحداد ، لم يتبقى غير شيئاً واحداً فقط ، مصنعك .. مصنع الحداد ، سوف أحرقه عن بكرة أبيه ، بعدها اكون حراً طليقاً .. نظر خالد إلى البرواز ثم قال .. انا اسف يا أبي ، انا اعرف مقدار ذلك المصنع بالنسبة لك ، اعرف انك قد بنيتة قطعة قطعة ، لكن ليس أمامي حلاً آخر ... اخرج خالد عن شروده صوت طرقة

المصيدة ، لقد وقع فأر كبير في الفخ ، انتفض خالد ثم ذهب في اتجاه الصوت ، نظر إلى الفأر يصرخ داخل المصيدة ، ثم ذهب خالد إلى غرفته و عاد و هو يحمل مسدسه الفضي بين يديه ، امسك برصاصه ثم قام بحشوها داخل المسدس ، وجهه مباشرة إلى الفأر الكبير ، ثم أبتسم و هو يقول .. وداعا يا صديقي ..

بعد مرور عامين

٢٣ فبراير 2019 .. كانت هي إحدى ليالي الشتاء الباردة تصحبها رياحاً غوغاء و صقيعاً يحطم العظام ، الأمواج الطائشة تنثور خلف قضباناً حديدية ، تعبر احتجاجها عن آثام و فواحش البشر التي قد تكدست بالأكوام ، قضبان قد صنعتها الأكاذيب و الأوهام ، إن الأوضاع ليست مطمئنة في الخارج ، لقد أصبح كل شيئاً مباح في مجتمع قد اختلت معاييرها ، حيث تأتي المظاهر بما لا تحمله البواطن ، كل ليلة أتى بسلاحي الفضي و احشوه بالطلقات انتظاراً للحظة المناسبة ، لحظة الحقيقة ، لكن أحياناً يتملكني اليأس و أحياناً أخرى اشعر أنني قد فقدت صوابي ، و عندها اتذكر تلك المقولة " المرض النفسي هو أعلى درجات الإيمان " ، مقولة قد قرأتها من قبل في إحدى الكتب التي لا أستطيع تذكر اسمها ، جميعنا مرضى بسبب إيماننا ، جميعنا يسعى لهدف ، و من لا يفعل ذلك فهو أشبه بالأموات ، انا لست مختلفاً عن الجميع ، انا فقط متصالح مع مرضي .. أغلق خالد كتاب ملاحظاته ببطيء ثم نهض منتفضاً من موضعه ، كأنه تذكر شيئاً ما ثم ذهب في اتجاه المراة ، وقف يحملق في وجهه قد تغيرت ملامحه كلياً ، أصبح أكثر نحافة و اضمحلال و بعد أن أطلق العنان للحيته أصبح أشبه براهبٍ قد زهد في حياته التعيسة ، بجانب ما تبقى من خصلات شعره البيضاء المتساقطة ، إذا رآه احد معارفه لن يستطيع التعرف عليه ، هكذا وقف خالد يحملق بوجهه في المراة لبعض الوقت ، حتى تذكر غرضه من ذلك ، اليوم هو ذكرى خاصة بالنسبة له ، اليوم هي ذكرى ميلاده السادسة و الستون ، لم يكن يهتم في سابق عهده بذكرى ميلاده ، كانت ناديه هي المسؤولة عن تذكيره بذلك كل عام ، لكنها لم تحدثه منذ عدة أشهر ، المكالمات الأخيرة بينهم لم تنتهي بخير ، كانت عندها تخبره بوفاة زوجها ، رياض لم يكن يفارق المستشفى قبل أن يتوفى ، كانت حالته حرجه ، و في نظر خالد كان شبه متوفي لذلك لم يهتم حينها .. من يهتم بالأموات اذا كان لا يهتم بالأحياء .. لقد انقطع خالد عن العائلة منذ عامياً تقريباً فيما عدا عدة مكالمات معدودة من نادية ، تطلعه بآخر

الايخبار و تطمئن عليه من حين لآخر ، سألتها ذات مرة عن مصطفى ، أجابته في ارتباك ان أحواله لا تسر ، لقد اختلف مع منير الحداد و اشتد الصراع بينهم مجدداً و وصل بهم الأمر إلى القضاء مرة أخرى ، لكن هذه المرة لم تكن النهاية في صالح مصطفى ، لقد انقلبت حياته رأساً على عقب ، مروراً بحريق المصنع توالى المصائب على رأسه ، حتى زواجه أصبح مهدد لأسباب مجهولة .. لم يفاجئ خالد لسرعة تطور الأحداث بين مصطفى و منير ، كان يشغله أمور اهم حينذاك ، و في مرة أخرى أراد خالد أن يسأل عن إلهام و يعرف المستجدات في حياتها ، لكنه عدل عن قراره و قرر ألا يسأل في النهاية ، ما الداعي من كل ذلك في النهاية ؟ ، اللعنة .. استشعر خالد لحيته بأنامله الغليظة ، يستشعر خصلاتها البيضاء الشعثة و يعبث بين ثناياها الضيقة بأطراف اصابعه ، ثم قال محدثاً نفسه .. عامين ، لقد مر عامين و انا اجلس بلا حراك ، لقد مر عامين و انا منعزل هنا داخل المنزل احدث نفسي اياماً و ليالٍ ، إن الوقت يصبح ابطئ عندما نراقبه ، ربما يجب أن ادون ذلك في وقت ما ، .. نظر خالد مجدداً إلى صورته في المرآة بعد أن اغرورقت عيناه و امتلأت بالدموع حتى تساقطت ساخنة على خديه ، ثم قال محدثاً نفسه .. يبدو أنني قد اغفلت حياتي ، ترى هل كنت على صواب ام كنت على خطأ ؟

في بيت عتيق انبعثت منه رائحة الأثاث التراثي مختلطة برائحة سجائر فاخرة و تزينت حوائطه ببعض التحف و المقتنيات الأثرية و اللوحات ، وقف السيد فؤاد باشا الحداد بهيبة و جلاله تقشع لها الأبدان و تستقيم لها الشوارب ، وقف ينظر بغلظة غير معتادة لزوجته الذي قد بهت وقارها و رونقها من شدة الارتجاف ، تنهد السيد فؤاد و بعكس ما يحمله من حرقه و غل ، ثم قال بصوته الجهور ..

• احضري لي الصبي ..

وقفت السيدة تشبك أصابعها ببعضهم البعض مستجديه و تمتثل التوسل بجميع الكلمات حتى اشتدت عروق السيد و كادت تنفجر ثم بذات النبرة الهادئة قال ..

• لن أكرر كلامي مرتين ..

بعد أن يأسست محاولات السيدة لاستعطافه ، ذهبت لتحضر طفلها الذي لم يكف عن البكاء ، أدخلته إلى الصالون و غادرت بعد أن أخبرها الرجل بأن تتركهم وحدهم ، وقف صبي في العاشرة من عمره ينظر إلى الأرض بخشوع حتى أمره الرجل بنبرة حادة ان يجلس ، تحرك الصبي ببطيء يتملكه الخوف حتى جلس على المقعد ، ثم وقف الرجل أمامه مباشرة بهيئته العملاقة ، ينظر إليه ثم سأله بحده ..

• ماذا فعلت .. ؟

رفع الصبي يديه إلى وجهه بخوف ليحمي نفسه ..

• لم أقم بفعل شيء ...

• لا تكذب علي .. لم اقتعلت شجارا بالمدرسة .. ؟

سالت دموع الطفل حتى صرخ الرجل فيه بحده بأن يجيب .. ، بينما يتنهد الصبي من شدة البكاء يقول باسى بالغ ..

• انا فقط أردت أن أشارك أصدقائي اللعب ... انهم يتجنبونني .. الجميع يتجنبني .. أشعر انني لست طبيعيا مثل الآخرين

جزع الرجل على أسنانه من شدة الغضب حتى كادت تتحطم ، ثم قال له و هو في قمة ثورانه ..

• تعصى اوامري مجددا .. مجددا .. يا لك من طفل عاق ، لابد أن تعاقب

بدأ الرجل بفك الحزام الجلدي المعلق ببنتاله و هو في قمة الغضب بينما اشتد بكاء الطفل و هو يستجديه ..

• انا اسف يا ابي لن أكرر ذلك .. انا اسف

لم يآبه الرجل لتوسلات الطفل و بدأ بلف الحزام على يديه بقوة ، ثم أخبره بحدة ..

• انت تستحق ذلك ..

انهال الرجل على الصبي بالحزام ، يجلده بكل ما اوتى من قوة ، بينما تعلو صرخات الصبي كان يردد الرجل قائلاً ..

• لقد .. أخبرتك من قبل .. أخبرتك انه لا يوجد اصدقاء ..

ازداد صراخ الطفل الغارق بين دموعه ، بينما تنهال عليه لسعات الحزام الجلدي حتى اندفعت زوجة الرجل و هي تصيح من بعيد على مسمع من صرخات الصبي ، انقضت على الرجل حتى أطاح بها بعيدا بانفعال شديد ثم ارتطمت هي بالأرض مغلوبة على امرها .. ، وقف الرجل يتأمل تلك الفوضى ، ثم نظر إلى الطفل بغضب بينما يلتقط انفاسه بصعوبة و يتنهد .. ثم قال و هو يمسح عرقه المنهال ..

• سوف يخذعونك و يخبرونك انهم اصدقاؤك ، سوف تؤمن بالوهم حتى تقع في فخهم .. انهم ليسوا كما تعتقد انهم مجرد أعداء .. أعداء .. أعداء

أعداء .. أعداء .. أعداء .. ، ماذا حدث .. بعض الاصوات عالققة برأسي ، تتكرر مرارا و تكرارا ، اللعنة .. انا اختنق لا استطيع التنفس ، لقد بهتت الألوان سريعا و تحولت الحياة إلى اللون الاسود .. لا استطيع ان ارى .. هل أصابني العمى ؟ ، حتى انني لا استطيع الحراك .. جميع عضلات جسدي لا تستجيب إلى الإشارات الصادرة عن عقلي ، أشعر بثقل كبير على صدري ، الهواء يدخل إليه من زاوية ضيقة للغاية حتى يكاد ينعدم ، كأنما وقعت صخور متحجرة على جسدي تمنعني عن الحراك .. و العرق يملأ جبيني و ينهال كفيضان على السرير .. ترى هل هي النهاية ؟ .. هل أتى الموت لينتقم مني أثناء نومي ؟ .. ام انها مجرد أشباح عابره ، يقولون ان في لحظة الموت يعرض شريط حياتك امامك .. انا لا أرى شيئا سوى ظلام دامس و أصوات جنائزية تصرخ في اذناي .. بعد انتظار دام لأعوام سوف استسلم إلى الموت ؟ .. استقبله وحيدا بين أكثر اللحظات خوفا و ظلما في فراش النوم .. بكل أسى اقولها ، لابد أن اعترف بذلك ، عاجلاً أم آجلاً .. لقد هزمتني لحظة .. شعاعاً من النور الخافت يأتي من بعيد .. اللعنة لا يمكنني الوصول إليه .. لا يمكنني حمل ذراعي ، أشعر بثقل كبير في مؤخرة رأسي ، هيا .. هيا ايها الكهل العجوز .. فقط شد اعصابك و مد ذراعيك .. لا تستسلم للموت .. قاتل من أجل امل آخر.. لن يضيع انتظارك هباءً .. أفعلا ..

وقف خالد على قدميه يشد على رأسه من شدة الألم ، يحاول ان يستعيد نشاط وظائف جسده مجددا ، كانت الحياة ما تزال باهته امامه .. و الرؤية غير واضحة .. و الاصوات تنهش في عقلة لا تتوقف .. ، حاول خالد ان يسير باتجاه المرحاض ليغسل وجهه ببعض الماء .. كانت خطواته غير مستقرة كطفل يتعلم المشي في بداية حياته ، يترنح يمينا و يسارا بقوة .. فقط يستشعر الحوائط بكفيه و يتكأ عليهم شيئا فشيئا حتى يصل إلى المرحاض ، وصل خالد إلى الباب ثم كبس على زر الإضاءة ، بينما يخطو إلى الداخل ارتطمت قدمه بشيئا صلب ملقى على الأرض ، التقطه خالد بيده دون أن يميزه ، كان ملمسه بلاستيكيًا ، دقق فيه بعينان مشوشه جزئيا ثم قال في سره .. انه احمر شفاه .. لقد كان يخص الهام .. قام خالد بفتحه بصعوبة ثم امسكه بقوة بيده اليمنى ، بينما تعلو الأصوات داخل رأسه .. مد يده اليسرى و شد بها على الحوض داخل المرحاض بعزماً شديداً .. وقف خالد مواجهاً لمرآة المرحاض ثم رفع يديه اليمنى و بدأ يحك و يكحت بقلم احمر الشفاه في زجاجها و هو يجزع و يشد اعصابه بقوة كأنه يرسم شيئا ما .. حتى انتهى و عندها بدأ يستعيد النقاط انفاسه بانسيابية مجدداً ، ثم ألقى بقلم احمر الشفاه و نظر يتأمل المرآة المزينة بعبارة واحدة فقط بخط يده " أعداء "

٢٩ نوفمبر ٢٠١٩ - كان اليوم هو السبت ، يوما روتينياً مثل باقي الايام إلى أن تغير كل شيء و بات يميل إلى الغرابة مروراً بصوت عقارب الساعة التي تتحرك على وتيرة متكررة و لا تتوقف ، إلى صوت انين المصباح تداعبه بعض الذبابات و تتغذى على وميضه الخافت ، إلى صراخ الفئران تتغذى على بعضها نظرا لنفاذ الطعام ، وصولاً بسيارة سوداء يسكنها رجل غريب تركز على رصيف الحي بلا حراك .. ، وقف خالد في شرفته إلى ساعات مطولة يراقب السيارة السوداء حتى ارهقت أعضائه اللتي كان يهملها باقتدار ، جلس خالد على اريكته يفكر .. لم يذق النوم طوال يومان يسيطر الأرق عليه حتى اسودت جفونه .. لم يدخل معدته شيئاً منذ مدة طويلة نظرا لانتهاؤ نصف المخزون و القضاء على النصف الآخر بواسطة الفئران .. يفكر في ايام من الماضي قد عاشها بين جدران نظيفة و حياة زهيدة .. جلس يفكر و يفكر حتى توقف تفكيره و لم يسمع غير دقائق عقارب الساعة تتكرر مرارا وتكرارا لا تتوقف ، كان عقله يشط حينها ، ووصل ذروته من الانفعال .. حلقة مغلقة ذات أسوار عالية لا يسعك الهرب من أحكامها .. وقف امام ساعة الحائط بغضب ثم اقتلع منها البطاريات و ألقاها بعيداً من النافذة .

لم يمر وقت طويل ساد فيه السكون حتى تساءل خالد بندم .. ماذا فعلت ؟ .. ، ارتدى خالد ثيابه ، ثم اضاف بالطو جلدي اسود طويل نظرا لهبوب عاصفة قوية محمله بالأمطار .. ثم خرج إلى العالم مجددا بعد مدة طويلة قد قضاها داخل الشقة ، بمجرد أن هبط إلى الشارع لفحه بعض الهواء ، كان شديد البرودة و لكنه كان قد اشتقاء إلى ذلك الهواء النقي ، وقف ينتشي لبضع لحظات بروعة الهواء ثم ذهب في طريقه اخيراً .. مر في طريقه بالسيارة السوداء مازالت ساكنة مكانها دون أن يعيرها انتباه .. ذهب إلى متجر قريب من البيت مستخدماً سيارته العتيقة .. كان الجو شديد البرودة و الريح تتخبط حتى كادت تخلع الأشجار من جذورها ، وصل خالد الي المتجر .. ثم دخل عبر الباب يلقي التحية و هو يفرك يديه .. وقف شاب في الثلاثينات بابتسامة ساخرة ..

• ما الذي اخرجك من البيت في هذا الطقس ايها الجد ؟ ...

قال خالد بلا مبالاة ...

• انا ابحت عن بطاريات و بعض الأشياء الأخرى

• أخبرني ماذا تريد بالضبط ... ؟

استشعر خالد ببعض الضيق ثم انفث غضبا ..

• اريد بطاريات و حبال متينة و شريط لاصق و بعض معلبات الطعام ..

ابتسم البائع ، ثم بذات النبرة الساخرة ...

• أتعلم ؟ لم يأتيني زبائن اليوم انهم يحذرون من أمطار شديدة سوف تضرب الإسكندرية .. ربما كان يجدر بك البقاء في البيت ...

انقض خالد على الرجل بغضب شديد ، امسكه و لف يده حول رقبته بقوه ، ثم شد به بعزم قوته و بدأ يضغط على رقبته حتى كاد يغيب الرجل عن الوعي .. لم يشعر خالد بنفسه إلا و هو يسحب بعيدا و يقذف إلى الخارج .. كان ضابط شرطه في ملابس رسميه هو من سحبه ، ثم وقف الضابط يرفع حاجبيه و يتأمل هيئة خالد الوضيعة .. ثم سألته باستحقار ..

• من تحسب نفسك يا هذا .. هل انت مخموراً او شيئاً من هذا القبيل ؟

وقف خالد بجوار الضابط يسعل بقوة و يبتعد شيئاً فشيئاً .. حتى شده الضابط مجدداً من معطفه بغضب و هو يقول .. اين تحسب نفسك ذاهباً ، رفع خالد يديه إلى وجهه بخوف ليحمي نفسه و هو يقول ..

• انا اسف يا ابي .. انا اسف

نظر الضابط إليه بخوف .. ثم قال له بحده ..

• اعطني بطاقة هويتك ..

وضع خالد يده في جيبه ثم أخرج البطاقة و أعطاها للضابط .. بدأ الضابط يتأملها للحظات ثم سلمها إلى خالد بأدب .. قال له بخجل ..

• تبدو مرهقا يا سيدي .. هل تريدني أن اقلك إلى المنزل ؟

استفاق خالد رويدا رويدا ، ثم أخبر الضابط انه سوف يعود بسيارته .. وقف الضابط ثم نظر للرجل داخل المتجر بغضب ثم قال له بحدة ...

• اعط للباشا أيأ كان ما يأمر ..

حمل خالد الاغراض بسيارته ثم ركب و قادها سريعا للعودة إلى المنزل ، يقود مهرولا في الطريق دون انتباه .. مهلاً ! .. سيارة تلاحق خالد تتعقبه خطوة بخطوة ، إنها ذات السيارة السوداء الساكنة على رصيف الحي بلا حراك ، تساءل خالد في نفسه .. ما الذي يحدث بحق الجحيم ؟ .. ، ثم أزداد من سرعته و بدأ يدخل من شوارع جانبية لتشتيت السيارة الأخرى و الهروب منها ، اتخذ عدة مسارات مختلفة حتى اضلها ، بعدها وصل خالد إلى رصيف العمارة حيث يركن سيارته بينما يوقف المحركات وجد السيارة الأخرى قد جاءت و توقفت عند رصيف الحي في مكانها الطبيعي ، نزل خالد من السيارة و بدأ يرمق السيارة السوداء ركنت على عتبة الحي تبعد عنه مسافة عشرة أمتار فقط ، لم يستطع خالد تمييز ملامح السائق بسبب العتمة التي كانت تملأ الأرجاء ، فقط اكتفى ببضع دقائق يتأمل السيارة حتى حمل اغراضه بعد أن تساقطت بضع قطرات من السماء على رأسه .. يبدو أن العاصفة على وشك أن تبدأ .. قالها خالد ثم صعد إلى شقته .

وضع خالد معلبات الطعام في المطبخ حتى بدأت الفئران تصرخ من أثر الجوع عند رؤية الطعام لكن خالد لم يأبه بهم كان مرهق للغاية و جسده المترهل تكسوه القاذورات ، ذهب خالد إلى ساعة الحائط ، حملها ثم وضع بها البطاريات حتى عاودت العمل بدقات عقاربها المنتظمة ، بعدها ذهب ليستريح على اريكته بينما يراقب عقارب الساعة و يسمع طفيف من قطرات الأمطار على زجاج نافذته ، بات الوقت طويلا لا يتحرك و أجفان خالد لا تكاد تغلق .

٣٠ نوفمبر ليلة يوم الاحد وصلت العاصفة إلى اشدها ، تتساقط الأمطار بغزارة في الخارج ، امتلأت الشوارع بالماء كالأنهار و توقفت الكلاب اللعينة عن النباح و لم يهدأ جسد خالد المترهل عن الارتجاف ، يحرق بعينان حمراوين لم تذق النوم خلال يومين او اكثر .. يحرق في مصابيح السيارة الراكدة تحت سيول طائشة من الأمطار بينما تعلو أصوات صواعق البرق ارتفاع ضخ الدماء في عروقه تصحبه بعض الأصوات الشيطانية حينها بدأ يردد في نفسه بنبره جنونية .. انه الوقت ، إنها الساعة .. ركض كالمتهور يبحث عن مسدسه الفضي و علبة الطلقات حتى وجدهم .. فتح العلبة و بدأ يرص الطلقات الفضية أمامه كصف متساو ، ثم حمل المسدس في يده بحدته ، نظر إلى عقارب الساعة و قال .. انه الوقت .. انهم قادمون .. قام بحشو مسدسه بالطلقات بعد ان ارتدى معطفه الجلدي و اصبح على اهبة الاستعداد .. وقف ساكنا لبرهة يستجمع تفكيره ثم نظر يسارا باتجاه المرحاض ، اتجه إليه سريعا ، قام بكل عدد من الفئران المتعفنة في طريقه حتى دخل إلى المرحاض ووقف أمام المراة يمتلكه شعور بالنشوة و كأنه يستمتع إلى وتيرة متكررة من قرع الطبول .. ثم قال محدثاً نفسه بحماس .. لقد انتظرت كثيرا و الان قد حان الوقت .. بعدها اتجه بنظره إلى العبارة المكتوبة أسفل المراة ، اللتي لم تمحوها الايام بعد .. " أعداء " .. ثم نظر إلى نفسه مجدداً و ضحك بسخرية مريبة ، بعدها وضع خالد سلاحه المحشو بالطلقات أسفل حزامه ثم حمل الشريط اللاصق و الحبل الذي قد ابتاعه من المتجر و قرر اخيرا الخروج لملاقاة العاصفة .. خرج خالد من شقته ثم مرورا بسلم العمارة حتى خرج من المدخل الرئيسي ، ثم وطأ بقدميه في الشارع كان أشبه ببركه من الماء و كانت الأمطار قد بدأت تهدأ نسبيا ، نظر خالد من خلف نظارته المقعرة و عينان متهدجه على السيارة السوداء ، كانت المصابيح مضاءة و السائق يقف بحذى السيارة مصدرا ظهره إلى خالد ، كان يتأمل الأمطار في السماء تهدأ شيئا فشيئا كان يبدو كشاب في الثلاثينات من عمره ، إنها فرصة مناسبة ، اخرج خالد المسدس من حزامه ثم امسكه بالمقلوب مصدرا مؤخرته المعدنية إلى

وضع الاستعداد ، ثم ربط عليه جيذا في قبضة يده و بدأ يتجه إلى السيارة في حذر شديد ، و حاول أن يكتم أنفاسه المتهدجة حتى لا يصدر ضجيجاً ، تطأ قدمه قدما تلو الأخرى في الماء حتى اقترب كثيراً من السيارة دون أن يشعر به الرجل ، يجب أن يكون سريعاً كفاية و دقيقاً كفاية ، لا يوجد مجال للخطأ ، اقترب خالد حتى وقف خلف الرجل مباشرة .. ثم رفع قبضته بالسلاح و بعزم ما أوتي من قوة انهال على مؤخرة رأسه .. انفجرت الدماء من رأس الرجل ثم انتفض خالد قبل أن يلوح الأخير بحركة بهلوانية في الهواء و ينتهي بالسقوط على الأرض كجثة هامدة ، بدأ خالد بالارتجاف يسيطر عليه الفزع ، لقد كانت ضربة مدوية لكنه مازال على قيد الحياة لقد فقد وعيه فقط ، نظر خالد يمينا ويسارا .. الشارع خاوي تماما لا يوجد أحد ..

استجمع خالد شتات تفكيره ثم قام بتكبييل ايدي و ارجل الجثة الملقاه بالحبال و انتهى بشد الشريط اللاصق حول فمه بإحكام ، استحضر خالد روح شاب في العشرينات من عمره ثم حمل الجثة على كتفيه و بدأ يتحرك بها باتجاه سيارته في مشهد أسطوري تحت الأمطار ، حتى وصل إلى سيارته العتيقة و قام بوضع الجثة في شنطة السيارة ، إنه بالفعل يبدو كشاب في أواخر الثلاثينات خفيف الشعر يرتدي نظارة زجاجيه و يضع دبله في إصبعه ، اغلق خالد الحقيبة بإحكام ثم ركب و قام بتدوير سيارته و اتجه في طريقه إلى الطريق السريع ... قاد خالد لوقتاً طويلاً ، لمدة ساعة تقريباً كانت الأمطار قد قلت تدريجياً ، و كانت حينها قد تجاوزت الساعة الثالثة و النصف فجراً ، حاول خالد الابتعاد قدر المستطاع عن المساكن و العمران في الطريق السريع حيث الخلاء ، يجلس في سيارته و يسيطر عليه القلق حتى سمع عدة تخبطات في مؤخرة السيارة ، قرر حينها أن يركن السيارة على حافة الطريق ، ثم خرج منها و ترك المصابيح الامامية مضاءة ، مازال يسمع صوت حشجرة داخل الحقيبة ، اخرج خالد المسدس من جيبه يلمع وسط عتمه الليل ثم فتح الشنطة وواجه الرجل ترتسم على وجهه ملامح الرعب و الفزع كأنه كاد يبكي و هو يحاول ان يقول شيئاً ، لم يكثر خالد امسكه من ياقة معطفه و قام بسحبه و جره بينما يزجر الرجل و يتألم حتى قذفه خالد ، استلقى الرجل يجثو على ركبتيه عند مقدمه السيارة ، وقف خالد أمامه بهالته العملاقه و وجهه العايب ، شرد بذهنه للحظات حتى هبطت عليه بضع قطرات من السماء ، مد خالد راحتيه يتحسس الماء ثم شد على قبضته بقوة و نظر بحدة إلى أعين الرجل المرتجفه ، ثم رفع يده ووجه سلاحه مباشرة إليه ، رفع الرجل يديه بينما يجثو ، رفع يديه و هو يبكي متوسلاً خالد لكن الأخير كان قد عزم أمره ، ضغط على الزناد بدون تردد .. اتجهت الطلقة مباشرة في رأس الرجل ، وقع جثة هامدة بينما تنفجر الدماء من خارج رأسه و تسيل ملطخة الأرض ، بعدها بلحظات هبطت الأمطار بغزارة مجدداً ، استنشق خالد هواء نداها الرطب بشجن ، ثم ذهب باتجاه الجثة الغارقة بين الدماء ، قام بتفتيش جيوبه حتى وجد محفظة جلدية ، وقف يفتش محتوياتها حتى أخرج منها بطاقة الهوية و صورة للرجل بجانب طفلين ، ولد و فتاة ، ألقى خالد المحفظة الجلدية و الصورة ، ثم وقف يقرأ فحوى البطاقة مذهولاً تحت الأمطار .. الاسم : خالد عبدالحميد ... العنوان : 9 شارع المنتزه الإسكندرية .. الحالة الاجتماعية : متزوج .. المهنة : مهندس معماري ... شعر خالد بصدمة قوية قد انتبته ثم سقطت البطاقة من يده و بدأ يتراجع عدة خطوات الى الخلف و هو يمسك بمؤخرة رأسه ، بينما تسيل دمعاته على خديه موجهها كلامه للجثة و يقول بفزع ... لا .. لا .. لا يمكنك ... لا يمكنك خداعي ... لا يمكنك خداعي ، بدأ خالد يتراجع للوراء و هو يصرخ بشكل هستيري و ترتجف عروقه بشدة ... ثم جثى على ركبتيه مستسلماً في النهاية تسيل الدموع من عينيه و تنهوى أمطار العاصفة على رأسه ، رفع سلاحه متردداً ثم تثبته على رأسه بيديه المرتعشه ثم قال اخيراً بأسى قبل أن يضغط على الزناد ... أنت تفوز ... ضغط بأصبعه الغليظ

ثم انفجر رأسه و وقع خالد جثه هامده تسيل الدماء من رأسه حتى اختلطت
بماء الأمطار العذبه ...